مجلة كلمة حق
السنة الثالثة
العدد ٢٥ أغسطس ٢٠١٩

كلمة حق

ضرورات الحركات
محمد إلهامي

ماذا قدمت الثورة السورية للأمة ؟
أسامة الرشيدي

رسالة إلى منتظري تحرُك الجيش
محمود جمال

مسار التغيير بين فرص ضائعة وأخرى سانحة
د. عطية عدلان

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد ٢٥

أغسطس ٢٠١٩

klmtuhaq
كلمة حق
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

الافتتاحية .. ضرورات الحركات ٣
محمد إلهامي

أبو يزن الشامي وفرضية الاعتبار الغائبه ١٣
كرم الحفيان

ماذا قدمت الثورة السورية للأمة ٢٢
أسامة الرشيدي

رسالة إلى منتظري تحرُك الجيش ٣٠
محمود جمال

طلائع التحرير .. فتية النصر والتمكين ٣٨
أحمد قنيطة

مذكرات رفاعي طه (١٧) ٤٤
محمد إلهامي

هل يمكننا صناعة ما يصنعون من صواريخ وغواصات ؟ ٥٢
آدم الرازي

مسار التغيير بين فرص ضائعة وأخرى سانحة ٥٧
د. عطية عدلان

عائدون إلى الجبل ٦٤
د. سلمان بن فهد العودة (فك الله أسره)

إعلام الثورة المصرية ٦٩
د.مجدي شلش

الجهاد ماض إلى يوم القيامة ٧٣
الشيخ محمد أبو زهرة

لا تعجز ! ٧٩
حامد عبدالعظيم

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية..

ضرورات الحركات

محمد إلهامي

ما من صاحب هم وحرص على هذه الأمة إلا وهو يحاول إدراك السر الذي ينقل من حال الضعف والهزيمة إلى حال العز والنصر، فتراه لا يجلس مجلسًا ولا يفتح كتابًا ولا يحضر ندوة ولا يستمع إلى متكلم، إلا وهو يحاول أن يفتش في كل ذلك عن طريق الحل. هذا السعي من أدلة الهمَّ ولعله من أدلة الصدق مع الله.

وفي هذا الحال يثار التفتيش في التجارب التاريخية، مع أنه لن يمكن تكرار تجربة تاريخية بحذافيرها أبدًا، فالزمن نفسه جزء من تغير المشكلات وتغير الأوضاع، ومع ذلك يظل المسلم يحاول دائمًا استخلاص السنن والقواعد العامة التي لا تتبدل مع تغير الزمن.

ونحن المسلمون ننظر أول ما ننظر إلى تجربة النبي صلى الله عليه وسلم، ليس فقط لكونها أنجح تجربة تاريخية بشرية على الإطلاق وبشهادة غير المسلمين من المؤرخين والباحثين، بل لأن الاقتداء بالنبي أمرٌ شرعي، أُمِرنا به في الكتاب والسنة، وإن كثيرًا من تجارب الملوك والزعماء الأقوياء الناجحين لا يجوز لنا الاقتداء بها، فكم كان ثمن نجاح كثير من الزعماء دماء ملايين الناس وخراب المدن والبلاد!

إذا نظرنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحاولنا أن نرى ما هي الإمكانيات والأدوات التي كانت بيده عند لحظة بدئه الدعوة، وكيف عمل صلى الله عليه وسلم على امتلاك ما لم يكن معه، فلعل ذلك أن يكون واجب الوقت.

وما سأكتبه هنا إنما هي قراءة سريعة عجلى لهذا الأمر، وهي جهد المُقل المُقَصِّر الكسير، ويظل الواجب الأكبر على علماء السيرة والتاريخ أن يبذلوا لأمتهم هذا العلم، فلعل كلمة من هنا مع كلمة من هناك، فتحًا يأتي به هذا مع فتح يأتينا من ذلك، فيكون ذلك أول الشرر، وسبيل الهداية لقوم يبحثون عن عمل وينقصهم بعض العلم.

(١) أول الأمر فكرة ورسالة، وحي ألقاه الله لنبيه، فأول الأمر هو هذه الفكرة والرسالة الدينية الصافية، بدونها ما كان ليحدث شيء على الإطلاق.

(٢) وثاني الأمر إيمان عميق راسخ أصيل لا يتزعزع ولا يتردد، إيمان بهذا الدين، وبصلاحيته لهذه الحياة في كل زمان ومكان، وبقدرته على إصلاح حياة الناس وإنقاذهم دائمًا وأبدًا، إيمانٌ يختلط باللحم والدم والعظم، يجري في العروق وينبض في القلوب، إيمانٌ لا تستطيع قوة أن تنتزعه أو أن تصرف عن العمل له، التخلي عن الإيمان بالرسالة يساوي التخلي عن الحياة، إيمانٌ عبر عنه النبي في قوله: "أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم .قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة".

(٣) شخصية عظيمة موهوبة، تملك مؤهلات القيادة، تستطيع أن تجمع إليها العقول والقلوب، قائد يملك أن يفصح عن فكرته، شديد الصلة والارتباط بربه، يعرف مداخل الناس وله فيهم فراسة ونظر ورأي، رجلٌ على قدر المهمة.

سيقول قائل: أين هذا القائد؟

وأجيب: إنها والله لمعضلة حقًا، لكن أمة تبلغ أكثر من مليار ونصف يستحيل ألا تحتوي على هذا الرجل، ربما تفرزه الأحداث فيجب عندها أن تكون القوى والجهود في ظهره ومن خلفه، وأن تخلص النفوس من حظ نفسها وتتجرد لله ولمصلحة الأمة، فأن نكون ذيولًا في الحق خير لنا من أن نكون رؤوسًا في الباطل، وهو خير لنا في الدنيا، فأن نسوق للزعيم المسلم دابته خير من أن نرعى خنازير الكافر الذي سيحتلنا ويذلنا.

ربما تفرزه الأحداث، وربما نحتاج أن نبحث عنه بعينٍ أخرى كما كان طالوت في أمة بني إسرائيل المهزومة، كان بينهم وكانوا يبحثون عن قيادة، مقاييسهم كانت تحجبه عن عيونهم، ولما جاءهم خبر السماء بأنه القائد المصطفى من الله استنكروا هذا الاصطفاء (تعسًا لأمة مهزومة ترفض نخبتها القائد المصطفى من الله استكبارًا وعلوًا، لهذا هُزِموا واستُذِلُّوا)، نحتاج أن نبحث عن كل كفاءة وطاقة وموهبة ونوسع لها ما استطعنا سبيل الارتقاء، وما أكثر قادة أمتنا الذين نصروها وأعزها فكانت مسيرة حياتهم فصولًا من تقديم المخلصين لهم والتعريف بهم.

اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2015/01/blog-post_3.html

(٤) رجالٌ أكفاء على قدر المهمة،

رجال صالحون في أنفسهم، فعَّالون في مجتمعهم، رجال يتشربون الفكرة والرسالة حتى تبلغ منهم مبلغ اللحم والدم والعظم، وهم مع ذلك أهل كفاءة وفعالية، ونحن إذا نظرنا في الذين دعاهم النبي أول أمره لوجدناهم شخصيات متميزة في نفسها، أبو بكر أمة وحده، وهو فوق معدنه الأصيل النفيس، رجل تاجر صاحب أموال قادر على التمويل والإسناد، نسابة يعرف خريطة قبائل قريش، مؤرخ يعرف أيام قريش، مركز علاقات عامة "يألف ويؤلف"، وبمجرد ما آمن التقط ستة من كل قريش، فكانوا من العشرة المبشرين بالجنة ومن أعمدة الإسلام الكبرى، انظر مدى الخبرة والدقة والفراسة في معادن الناس.

٦

وعلي بن أبي طالب صبي فتى مستقل بنفسه قوي الشخصية يؤمن بدين يخالف دين قومه، وسيرته تدل على مبلغ قوته وشجاعته مع ذكائه ومقدرته. وخديجة، هي فوق معدنها النفيس امرأة مستقلة صاحبة قرارها، تدير تجارة وأموالًا، تتاجر تجارة عالمية، ولا يخرجها هذا عن معنى الشرف والعفة والنزاهة، ولا يخرجها فيما بعد عن حسن التبعل للزوج واللين له، وإنها لموهبة وحزم وقوة. ثم فتش في كتب السيرة عن عثمان وأبي عبيدة وطلحة وزيد وسعد، كل واحدٍ منهم مع كونه شابًا مستقل الرأي والنظر، معروف القدر والأثر.

والحركة الإسلامية الآن لا تدعو للإسلام من جديد، بل واجبها أن تنتقي الكفاءات المؤثرة، ولا تستكثر من الضعفاء والهزلاء والكسالى الذين ما دخلوا حركة إلا أثقلوها وجعلوها منتفخة بلا أثر، بل إن حقيقة نكبتنا المعاصرة أن غالب جسد الحركة الإسلامية ليس أهلًا للمهمات، بل وصل أولئك إلى مواقع القيادة فساقوا أتباعهم إلى المذبحة وقدموهم غنيمة باردة. يجب أن تكون الدعوة والانتقاء لمن يضيف إليها ولا يكون عالة عليها، دعوة للمؤثر الكفء الفعال مهما كان سبيل دعوته صعبًا ومجهدًا، وهي دعوة تستهدف نخبة الناس، ومراكز القوى والتأثير في المجتمع، والناظر في الخريطة القبلية للمسلمين الأوائل يشعر أنه انتقاء مقصود من أفضل نخبة الشباب في القبائل العليا لمجتمع قريش.

الحركة تنتقي، ولكنها لا ترفض من أقبل إليها مهما ضعفت إمكانياته ولا تصرفه (وهذا هو موضع عتاب الله لنبيه في ابن أم مكتوم، عاتبه الله في الانصراف عن الذي أقبل، لا في أنه دعا سادة القوم). إننا نؤمن بقول نبينا "هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم" وسنستعين بهؤلاء في الدعاء فكم فيهم من مستجاب الدعوة، وتتقرب إلى الله بخدمتهم ورعايتهم والنظر في أحوالهم، لكن حديثنا الآن عن مسارات العمل وما تحتاجه من كفاءات.

(٥) تربية إيمانية مكثفة لهذه النخبة المختارة من الرجال، تربية تستهدف الارتقاء بأرواحهم وعقولهم بما ينزع عنهم شوائب الجاهلية ويجعلهم خالصين لهذا الدين. فَرَضَ الله على المسلمين قيام الليل كله أو نصفه أو ثلثه سنة كاملة (أربع ساعات قيام ليل بحد أدنى، يوميًا، لمدة سنة، ثم نزل التخفيف). لا بد للحركة من برنامج إيماني قاسٍ لكوادرها الأساسية. إن أولئك الذين خاضوا هذه التجربة الإيمانية صاروا أعمدة الإسلام، أسقطوا ملك فارس والروم، وجاءت كنوز المملكتين بين أيديهم فلم يغتروا ولم ينهزموا ولم يتحولوا، كان رصيد الإيمان الذي امتزج بروحهم قد رفعها عن هذا، وكم رأينا في التاريخ وفي حياتنا من تخطفته أنواع الترهيب وشدة التكاليف، ثم رأينا من صمد في الشدة ولكن زل في الرخاء فزاغ وضل وبدَّل الدين حرصًا على سلطة ومال بعدما صمد للسلخ والتعذيب. نسأل الله لأنفسنا ولجميع المسلمين الثبات على طريقه.

(٦) حماية سياسية، مثل التي وفَّرتها بنو هاشم وزعيمها أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأجل هذا كان الأنبياء يُبعثون في أشراف أقوامهم، وكان النبي يُبعث في "ثـروة" (مَنَعة) من قومه، وذلك حتى تقوى الدعوة ويشتد عودها وتستقل بحماية نفسها، وسيرة الدعوات أنها تستفيد من واقع المجتمع الذي تريد تغييره، وتوظفها لمصلحتها، فيجب أن تقصد الدعوة مواضع الحماية وعصبيات القبائل ومراكز القوى لتحتمي بقوتها ومكانتها، ولهذا يجب عليها أن تعرف خريطة مجتمعها جيدًا قبل أن تبدأ الحركة. وفي الوقت الحاضر ربما يجب الاجتهاد في مسألة مراكز القوى العالمية، وإلى أي مدى يمكن الاستفادة منها، وكيف يمكن ذلك؟..
هذا عملٌ نضعه بين أيدي السادة العلماء.

اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2013/12/blog-post_11.html

(٧) عاصمة مؤثرة، إن العمل في الأطراف والهوامش أسهل كثيرًا، ونتائجه أسرع كثيرًا، ولكنها أيضا: أضعف كثيرًا، بينما العمل في العواصم أصعب كثيرًا، ونتائجه أبطأ كثيرًا، ولكن النجاح فيها يغير التاريخ. لقد بُعِث النبي في مكة وهي عاصمة العرب، وظل فيها عشرة أعوام يحاول أن يهتدي سادتها لكي يتبعهم العرب، فلما أبوا ولم يعد من أمل، ذهب إلى العاصمة الثانية: الطائف، ولما وجد صدودًا لا إمكان معه لمحاولة أخرى، بدأ بعرض نفسه على القبائل حتى وجد الأنصار، ثم كانت المرحلة المدنية صراعًا مع العاصمة المكية نفسها، حتى فُتِحت، ولما فُتِحت أقبلت جزيرة العرب مسلمة! تنجح الثورة طالما سيطرت على العاصمة، ينجح الاحتلال إن سيطر على العاصمة، يبقى النظام طالما سيطر على العاصمة، يفشل الاحتلال طالما لم يدخل العاصمة، العاصمة قادرة على استعادة الأطراف مهما ضعفت زمنًا ولو طال، وبعض الثورات والتمردات استمرت خمسين سنة ثم ذبلت لما لم تنجح في السيطرة على العاصمة.

◄◄ اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2016/08/blog-post_20.html

◄◄ اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2018/02/blog-post_56.html

(٨) خطة واضحة، خطة البحث عن أرض تكون أرضًا للدعوة، خطة تحول الدعوة إلى دولة، لقد كانت الفترة المكية فترة البحث عن دولة، استمرت المحاولة في مكة ما بقيت حماية بني هاشم وأبي طالب، فلما كُسِرت هذه الحماية بموت أبي طالب، و/أو لما بدا أن أهل مكة لن يؤمنوا، ذهب النبي إلى الطائف، ثم عرض نفسه على القبائل، وقبل من هذه القبائل حمايتها ولو داخل البلدة فحسب كما كانت بيعته للأنصار "وأن تحموني مما تحمون منه أنفسكم وأبناءكم"، ولو لم يؤمن الأنصار لطاف النبي على قبائل أخرى وأخرى حتى يجد له أرضًا تنصره ليبلغ منها رسالة ربه، ولتكون أرض الدعوة وليكون أهلها أنصاره وحزبه.

إن الوصول إلى الاستقلال بأرض لإقامة الدولة من بعد الدعوة كانت خطوة في طريق كل حركة ناجحة، سواءُ أكان ذلك بتنفيذ ثورة، أو انقلاب، أو الاستقلال بناحية، ويظل الصراع دائما حول السيطرة على العاصمة التي تعني نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد.

وهذه الخطة يجب أن يستخلص لها أهل كل مكان ما يناسب وضعهم، إذ هي حصيلة النظر في الجغرافيا والتاريخ والاجتماع والأمن والسياسة، وبدون وجود رؤية كهذه يستحيل أن تحقق الحركة نجاحا، لأنها تصير كالتائه الذي لا يدري ماذا يفعل، يتحرك بالانطباع الانفعالي اللحظي، تحت ضغط الظرف والضرورة، يوظفه الأقوياء من حوله في صراعاتهم، ويدفع هو ثمنها كاملة دون أن يربح شيئًا.

اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2015/05/blog-post_4.html
اقرأ أيضًا: melhamy.blogspot.com/2018/02/blog-post_56.html

(٩) كفاح مرير مستمر، وتلك سنة الدعوات والحركات والدول والإمبراطوريات، نشاط لا يهدأ وجهاد لا ينقطع، وتحديات يتلو بعضها بعضًا، ولا تستقر الدنيا لأحد، ولا تستقر على حال، ولقد كان هذا الأمر معلنًا منذ اللحظة الأولى للدعوة (إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا)، وقالها النبي لزوجه "مضى عهد النوم يا خديجة"، فمن كفاح لزرع الدعوة وغرسها في مكة، إلى كفاح لإيجاد الأرض والأنصار لها، إلى كفاح لإنشاء الدولة في المدينة، إلى كفاح لحمايتها وتثبيتها، إلى كفاح للفتح ونشر الدعوة، وراحة المؤمن كما يقول الإمام أحمد عند أول قدم يضعها في الجنة، لن تصل الحركة إلى مرحلة تتنسم فيها عبير الراحة، صراع يتصل فيه العدو من الشرطي الذي يراقب المسجد في القرية إلى رأس النظام العالمي الذي يراقب "التهديد الإسلامي" القادم، ومن نوازل زماننا أن هذا الخط بين شرطي القرية ورأس النظام العالمي قد صار متصلًا ومتينًا وسريعًا، حتى كأنه عدو واحد في جسد واحد، إذا تهدد شرطي القرية تداعى له جسد النظام العالمي بالحمى والسهر.

وتلك نازلة تحتاج اجتهادًا في النظر ثم اجتهادًا في العمل، تحتاج فوق مجرد الذكاء والحكمة واقتناص الفرصة، قوة أعصاب فولاذية في الصبر والتحمل وترتيب الأولويات وتحييد الأعداء وتسكين هذا وترغيب ذاك وتهدئة ذلك وتطمين أولئك. صراعٌ ما أصعبه على الضعيف المقهور.

لهذا فالواقعية شعار المراحل كلها، والواقعية ضد التهور وضد التنازل، وهي في الواقع تكاد تكون شعرة لا يدركها غير الحكيم الحصيف الذي جمع إلى الذكاء القوة، ولم يختر نبينا أن يتصارع مع جهتين في وقت واحد أبدًا، فإذا اجتمعوا سعى في تفريقهم، ولو ببذل بعض المال وبعض التنازل.

اقرأ أيضًا: www.fb.com/mohammad.elhamy/ posts/10152723798661615

وفي النهاية فإن مهمتنا على صعوبتها الشديدة أسهل كثيرًا فنحن لا نبعث أمة، ولا نبنيها من جديد، بل ننفض عنها الغبار ونزيل طبقة الصدأ، إنما نُذَكِّر بمعاني الدين التي هي عميقة في النفوس وفي الأرواح، فوق أننا إذا أحسنا الفقه في الدين علمنا أنه الرحمة للعالمين، وبقي أن نحسن عرضه والدعوة إليه، فكم من مظلوم مقهور لا يعرفه، فإذا عرفه آمن به وأخلص له.

الحركة الإسلامية ليست بديلًا عن المجتمع، هي له كالمغناطيس لبرادة الحديد، تجمع طاقاته وتنظمها، ليست جزءًا متعاليًا على الناس، فكم في الناس من هو أحسن وأفضل من أفراد الحركة الإسلامية، إلا أنهم لظرف ما كانوا خارجها، الحركة الإسلامية ليست بديلًا عن المؤسسات الدينية ولا وظيفتها أن تقدم العلم الشرعي، بل وظيفتها أن تجد الطريقة لتحريك هذه المؤسسات الدينية والاستفادة منها وبعثها واستثمار طاقتها. الحركة الإسلامية بنت الأمة والأمة حاضنتها، نمط التعالي والعزلة بل والتكفير نمطٌ مدمر للحركة الإسلامية نفسها. وقد كانت الأمة أسبق من الحركات إلى الثورات، وبذل الأمة في الثورات أوسع وأعظم من بذل الحركات. الحركة الإسلامية روح تسري في الأمة لتعيد تنشيط ما خمل منها.

اقرأ أيضًا: www.fb.com/mohammad.elhamy/ posts/10152723798661615

أبو يزن الشامي

وفريضة الاعتبار الغائبة

— كرم الحفيان —

مقدمة

أكاد أجزم أن العقبة الأكبر في طريق تحرر الأمة الإسلامية من محتليها وجلاديها هو غياب المراجعات الذاتية الصادقة في الفكر والأداء (أياً كان اتجاهها)، داخل أكبر الحركات والكيانات الإسلامية المعاصرة على اختلاف مشاربها ومناهجها التغييرية، أو ما عبر عنه أبو يزن الشامي بـ "فريضة الاعتبار الغائبة".

وأبو يزن الشامي، لمن لا يعرفه، هو أحد أبرز العقول الشابة المفكرة الاستثنائية في الثورة السورية والحركات الجهادية الراشدة، التي لاقت قبولاً واسعاً من مجمل الثوار، لجمعها بين العلوم الشرعية والإنسانية، والعمل المسلح المميز، والتنظير الفكري والحركي القرآني الراقي، والنضج السياسي السريع، وقبل هذا كله سلامة القلب، وأمارته: الاعتراف بالأخطاء المنهجية ومحاولة إصلاحها أولاً بأول، قبل أن تتراكم، وتصبح إرثاً يتعصب المرء له في دوامة المناكفات بين المدارس الإسلامية المختلفة.

لن نناقش صحة مراجعات أبي يزن الشامي في هذه السطور، إنما سنعرضها كمثال للمراجعات الصادقة. وهذا الجانب هو الأهم في نظر الكاتب، والمميز لها عن الكثير من المراجعات الأخرى، التي كانت إما: قهراً تحت الضغط الأمني، أو انقلاباً كاملاً للنقيض كردة فعل، أو عالجت الظواهر دون الجذور، أو أخذت طابعاً تكتيكياً مرحلياً، أو يصر أصحابها على المكابرة وعدم تحمل مسؤولية أفعالهم، ولسان حالهم "أننا معذورون في كل المراحل"! ولا تثريب علينا! وغيرها من الحجج والملابسات التي تنسحب على كبرى الجماعات المعاصرة، وتتسبب في قدر كبير مما تعانيه الأمة حالياً، وتقف سداً منيعاً أمام تصحيح المسار.

من يقرأ كتابات أبي يزن، أو يستمع لدروسه، لا يمكن أن يتصور نسبتها لشخص لم يكمل بعد عقده الثالث! وقد ارتقى شهيداً عن ثمانية وعشرين عاماً في التفجير الشهير في ٩ سبتمبر ٢٠١٤م في محافظة إدلب بصحبة جل الصف الأول لحركة أحرار الشام.

هل سمعتم عن شخص ذي علم شرعي وتجربة حركية جهادية، يراجع مسيرة تياره، ويسجل مراجعاته الشرعية والحركية، وهو في النصف الثاني من العشرينات،

ويقره ويستفيد من مراجعاته قادة أكابر كثر يفوقونه علماً وتجارب، وبعضهم في عمر أبيه!، إنه الظاهرة أبو يزن الشامي.

بوادر نبوغ أبي يزن وقوة شخصيته ظهرت في سن مبكرة، فرغم حصوله على مجموع يؤهله لدخول "كليات القمة" كالطب والهندسة وغيرها، إلا أنه اختار تخصصاً يحبه "الشريعة الإسلامية" والتحق بجامعة دمشق، إضافة إلى حضوره دروس علماء دمشق الكبار، ثم دخل مرحلة الماجستير، ولم يتمها بسبب الاعتقال والسجن بتهمة السلفية الجهادية قبل قيام الثورة السورية.

خرج أبو يزن من السجن بداية الثورة السورية، وهو ما زال يحمل النهج السلفي الجهادي، إلا أنه من خلال اختلاطه بطيف واسع من الشخصيات والاتجاهات الإسلامية أثناء الثورة، واحتضان سورية لعدد ضخم جداً من القادة والتنظيمات السلفية الجهادية الوافدة من كل الدنيا، وعقب أبحاثه الميدانية المتواصلة بقراءات ومقاربات جديدة، انطلق في سلسلة مراجعات تدريجية لفكر وأداء تياره، بدءاً من أسلوب التعامل مع الحاضنة الشعبية، وطبيعة العلاقة مع تيارات وعلماء وكوادر الأمة، مروراً بالمشروع السياسي، والتركيبة النفسية لأبناء التيار، وانتهاءً بالمرجعية الفقهية والفكرية.

وبعد سنتين تقريباً، كانت عملية "الاعتبار" قد نضجت عند أبي يزن، وظهرت ملامحها على النحو التالي:

أولاً: تمسك أبو يزن ببعض الركائز المكونة للسلفية الجهادية (والمشتركة مع غيرها):

(١) التصور الإسلامي للواقع المعاصر، والقائم على فهم النمط الفلسفي للجاهلية المعاصرة الحاكمة للعالم، والحرص على تمايز الإسلام بثقافته وتشريعه وحضارته عنه.

(٢) الفكر الجهادي الثوري في التعامل مع الأنظمة الحاكمة التابعة للمنظومة الفلسفية الغربية أو الشرقية.

(٣) الطبعة السلفية لابن تيمية في دعوته للاجتهاد والتجديد (بغض النظر عن مدى تباين فهم الطرفين لأطروحات ابن تيمية).

ثانياً: وفي المقابل، وبعد التجربة الميدانية والبحث العميق، حمل أبو يزن بشدة على غالب الركائز والسمات الرئيسية المؤسسة للسلفية الجهادية، ودعا لضرورة الاعتبار بما ألم بالساحات الجهادية بسببها:

(١) الطبعة المعاصرة للسلفية التي راجت منذ السبعينيات (والمختلفة عن سلفية ابن تيمية) والمفتقرة للبناء الفقهي المتماسك المتمثل بالتمذهب و"اكتمال النسب العلمي مع الأكابر جيلاً فجيل"، ما أنتج - من وجهة نظر أبي يزن حالة من الفوضى الفقهية و"الفقه البهلواني وكثرة الرؤوس الجهال" المتصدرين للتكفير وإباحة الدماء في الساحات الجهادية المختلفة، الأمور التي عُصمت منها طالبان الحنفية لمذهبيتها.

(٢) التركيبة النفسية التي تخلط بين: الأمور الخبرية والتكاليف الشرعية "فالشرع يأمر بالاعتصام والوحدة وهذا يوجب الكثرة فيتعارض في أذهانهم مع أحاديث الغربة وقلة الطائفة وهنا يأتي دور تلبيس إبليس طبعًا، فيرون كل اجتماع هو شر.. وكل فرقة توجب القلة خير"، "حديث (بدأ الإسلام غريباً) في لبه للتعزية والمواساة وليس دعوة لتكريس واقع الغربة، بل بالعكس هو دعوة للتغيير فغربة الإسلام أمر محزن يا رعاك الله"، ولا شك أن هناك أسباباً

أخرى لعدم وحدة المجاهدين والعاملين للإسلام، ولكن الحديث هنا عن النفسية الساعية للغربة والتمايز عن جموع المجاهدين وتزكية هذه الحال.

(٣) الحاضنة الشعبية وطريقة التعامل معها "من ينظِّرون لحرب العصابات يقولون المقولة الشهيرة إن الشعب للعصابة كالماء للسمك، كنا نفرح بهذه المقولة حتى اكتشفت أن في ديننا ما هو أعظم: الجسد الواحد "كنتم خير أمة أخرجت للناس".. للأسف أن منطق حرب العصابات الشيوعي الذي طغى على الفكر الجهادي جعل المتقدم منا فكرياً يتعامل مع الحاضنة كوسيلة، ونسي أنهم أهله وناسه.. على التجارب الجهادية أن تسير مع حاضنتها لا عليها".

(٤) بين التمكين والاستضعاف "علمني الجهاد أن الانطلاق من فقه عصر التمكين في زماننا انفصال عن الواقع، والاكتفاء بفقه عصر الاستضعاف مراوحة بالمكان، والأمر عوانٌ بين ذلك.. لسنا بمرحلة مكية أو مدنية بل بزمان آخر له مناطات من كليهما، فلننظر للسيرة نظرة استنباط فالأمر فقه لا محاكاة"، و"السبيل للغاية العظمى يستلزم منك التركيز على أهداف مرحلية، فيحسب من يقرأ المشهد معزولاً أنك تخليت عن الغاية"، وهذه الأخيرة قيلت بعد رفض الفصائل السلفية الجهادية لميثاق عمل جامع لجل الفصائل الثورية ركز على إسقاط النظام دون التصريح بماهية الدولة المستقبلية.

(٥) سبيل التمكين "من الأخطاء في مناهج التمكين تقديم الاتفاق الفكري ونسيان ما جرى في بني إسرائيل (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)، بل أساس الاعتصام الائتلاف القلبي (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد) ولم يقل في تناغمهم الفكري ومشربهم التصوري)".

(٦) سياسة "التكتيف" القائمة على الإفراط في مسألة سد الذرائع، بمعنى تجنب كل الأفعال (كالتحالفات والمفاوضات) التي ليست حراماً في الأصل ولكن قد تؤدي مستقبلاً إلى مخالفات شرعية، وهذه سمة بارزة في الخط السلفي الجهادي، وفي المقابل تبرز سياسة "التمييع" القائمة على الاستزادة من المصالح المرسلة بلا ضوابط، وهي صفة غالبة على أداء الإخوان السياسي، والسياسة الراشدة عند أبي يزن عوانٌ بين ذلك.

والخلاصة النهائية التي وصل لها أبو يزن "إن المتأمل لتاريخ الخوارج المعاصر يجد أن المدرسة السلفية الجهادية كانت حاضنة لهم في معظم الساحات"، وعلى الرغم من عدم تعميمه الحكم على أفراد وتنظيمات السلفية الجهادية إلا أن "تكرار تجربة الخوارج في الجزائر وإفسادها للجهاد المعاصر في الجزائر، العراق..ووو وظهورها بالشام يوحي بعدم علاج المشكلة من جذورها مع قرب عهدها من بعض، وإن تكرار الدعوة بأن المنهج صحيح لكنه سرق يدل على عمش في الرؤيا لدى أبناء المنهج، فبعداً لمنهج يسرق في كل مكان!".

وقبل شهادته بستة أيام سجل شهادة أخرى تاريخية قال فيها: "نعم أنا كنت سلفياً جهادياً وحبست على هذه التهمة في سجون النظام، واليوم أستغفر الله وأتوب إليه، وأعتذر لشعبنا أننا أدخلناكم في معارك دونكيشوتية كنتم في غنى عنها، أعتذر أننا تمايزنا عنكم يوماً، لأني عندما خرجت من السجن الفكري الذي كنت فيه، واختلطت بكم وبقلوبكم قلت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق عندما قال (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم)، أعتذر منكم أعتذر، وإن شاء الله قابل الأيام خير من ماضيها لثورتنا ولإسلامنا".

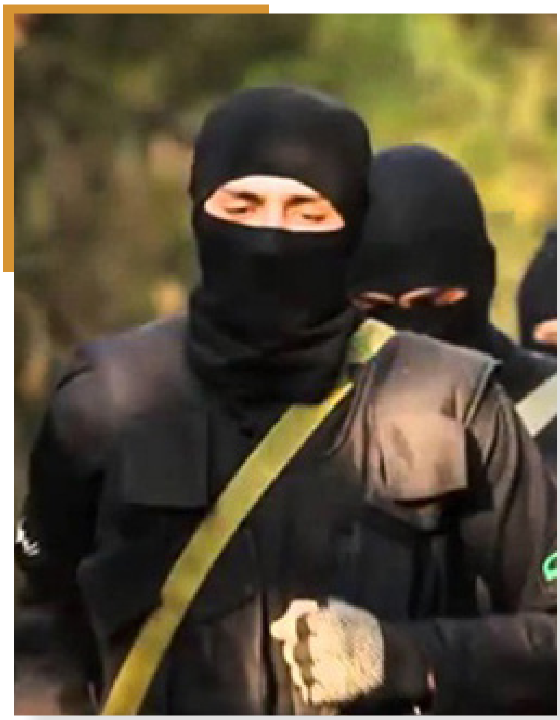

وهنا وقفة في غاية الأهمية بخصوص مراجعات أبي يزن، أنه على الرغم من تبلور موقفه السلبي الحاسم من أدبيات وممارسات السلفية الجهادية، بعد معاينته لأداء عدد كبير من تنظيماتها وقادتها، واستقرائه لتاريخها، إلا أنه حافظ على "جهاديته" و"ثوريته" و"أصوليته" محاولاً إعادة توجيه جميع ما سبق شرعياً وحركياً وسياسياً في الميدان في الاتجاه الصحيح.

ولم ينقلب إلى الضد كردة فعل، كما حصل مع الكثير من الإسلاميين وغيرهم إثر الثورات والثورات المضادة، فالبعض قفز من الجهادية إلى الإصلاحية المستأنسة، والبعض تحول من تقليدي محافظ إلى حداثي نصف ليبرالي، والبعض انقلب من سلمي متعايش ومتسامح مع "الكل" إلى داعشي يكفر ويقتل "الكل". والمراجعات الحقيقية التي حصلت غلب عليها طابع التكيف مع الواقع دون التطرق لجذور وأس المشكلة.

ونظرة أبي يزن لمراجعات الكثير من الجماعات الإسلامية المعاصرة، أنه حتى المتقدم منها اقتصر على تجاوز مرحلة التكتيكات إلى وضع الاستراتيجيات "مع نسيانه مراجعة الفلسفة الناظمة للتحرك..الإخوان وثورة الضباط الأحرار، الإخوان والسيسي، السلفية الجهادية والجزائر، السلفية الجهادية والعراق، السلفية الجهادية وسورية، تجارب متكررة مؤلمة رغم تقارب الأزمنة، والعقد التاريخية تظهر مع كل منعطف، والتغافل عنها ما عاد يجدي، ليست المشكلة إلى أين نصل، ولكن إلى أين نوصل من بعدنا، سؤال لو سأله من قبلنا لكانت كثير من المعطيات تغيرت اليوم، فمن حق أمتنا علينا بوجودها الحاضر، وبامتدادها المستقبلي، أن نسأل هذا السؤال لأنفسنا، الرشد بات ضرورة ملحة".

وكان يتوقع أن مرحلة ما بعد ثورات الربيع العربي هي الفرصة الأخيرة لكافة الجماعات الإسلامية الأم الحالية (إخوان - سلفية جهادية - تحرير- صوفية - سلفية علمية) لإصلاح سلبياتها القاتلة، و"علامات الرسوب هي الغالبة على المشهد"، وسيزداد عدد التاركين لهذه الجماعات أو "الإلكترونات الحرة" بتعبير الشيخ المصري رفاعي سرور صاحب النظرية وأحد المؤثرين المهمين في تصور أبي يزن الحركي.

هذه الإلكترونات ستتجمع وتعيد هيكلة المشهد الحركي الإسلامي بصورة راشدة إن امتلكت فلسفة تحرك صحيحة، وإلا فستدخل في مرحلة تيه.

" وبغض النظر عن صحة بعض أو جل مراجعات أبي يزن فيما يخص السلفية الجهادية، إلا أنه رسم خطاً وقدم قدوةً فريدة لجميع الحركات والتيارات والشخصيات في صدق وعمق المراجعات، وإيثار النصح للأمة على "قداسة" السمعة الشخصية والمصلحة الحزبية والتنظيمية. "

لا شك أن قطار التضحيات وقوافل الشهداء لم تقف للحظة طوال تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر، إلا أن ذلك وحده لم يؤد لتحررها أو نهضتها، وذلك لغياب فريضة وسنة "الاعتبار" التي نبه لها الكثيرون، ومارسها بصدق قلة، من أبرزهم أبو يزن الشامي، ذلك الشاب المجاهد المفكر الاستثنائي، الذي جمع بين التضحية والتصفية، وبين عمق الفكر وسعة الصدر.

التضحية بسلوك درب الثورة والجهاد، والتصفية (الميدانية) المصاحبة للسير في الأرض وخوض التجارب والنظر والمراجعة لفكر وأداء الحركات الجهادية والإسلامية، وعمق الفكر بالتمكن من العلوم الشرعية والإنسانية كالتاريخ والاجتماع والسياسة وغيرها، وسعة الصدر بالاعتراف بالأخطاء وتحمل مسؤوليتها، ثم محاولة تصحيحها، ومواصلة الطريق إلى الله تعالى.

ماذا قدمت الثورة السورية للأمة؟!

أسامة الرشيدي

اليوم، والثورة السورية في عامها التاسع، وقد تقلصت المناطق المحررة إلى أقصى درجاتها، وانحسر الثوار الأحرار في جيب إدلب الخضراء وريفها، وبلغ شهداء الثورة قرابة المليون شهيد، واضطر أكثر من عشرة مليون إنسان إلى ترك بيوتهم إلى مخيمات النزوح الداخلية، ودول اللجوء الخارجية، فضلًا عن التدمير الذي لحق بالبنى التحتية للدولة.

بعد كل هذا، قد يسأل سائل: وماذا بعد؟!

بعد كل هذه التضحيات الجسام، ماذا قدمت الثورة السورية للأمة؟

وأنا أقول: إن الناظر المتفحص في تاريخ الثورة السورية وأحداثها، يدرك جيدًا أن النتائج الإيجابية لثورة أهل الشام أكثر من أن تُحصى، ويصعب على باحث أن يحيط بها، لأنها أثرت تأثيرًا إيجابيًا في اتجاهات كثيرة، وعلى الأمة بأسرها، ولا تزال العقول والأفهام تتقلب بين أحداثها لتعود منها بالفوائد والعبر. وفي هذه السطور القليلة أحاول أن أرصد بعضًا من إيجابيات هذه الثورة المباركة، إبقاءً للأمل في النفوس، ودفعًا للقنوط عن القلوب، واستخراجًا لبعض أزهار ربيع الحرية من بين أشواك خريف الظلم والقهر، فأقول مستعينًا بالله:

- لقد أحيت الثورة السورية روح الجهاد في الأمة كلها، وجددت فيها روح البذل والتضحية والفداء في سبيل نصرة الدين والمظلومين، فقد رأينا تداعي الشعوب المسلمة لنصرة إخوانهم المظلومين في الشام بكل ما يستطيعون، من إندونيسيا في أقصى الشرق إلى موريتانيا في أقصى الغرب.

- لقد أحيت الثورة شعبًا بأكمله وأعادته إلى دينه وربه، فالناظر في حال الشعب السوري قبل الثورة، يجد أن نظام الأسد قد عمل على تغييبهم تمامًا عن حقائق الإسلام ومعانيه، حتى نشأ جيل لا يعرف الله إلا قليلًا، ولا يعرف طريق المسجد، ولا يمثل الإسلامُ في حسه شيئًا على الإطلاق، وبلغ الانحلال ذروته - خاصة مع وجود النصيرية - وانتشر بين الناس سب الله ورسوله، وحوربت مظاهر الدين الصحيح في البلد، وقُهر وسُجن وعُذب وقُتل كل من يحاول أن يرفع اسم الله وأن يعلي من شريعته، فجاءت الثورة بأمر الله، لتحيي هذه الأمة الميتة الغارقة في بحور التيه، ولتعيد الشباب إلى ربهم، وتأخذ بأيديهم إلى الإسلام في أسمى درجاته، وأرقى معانيه، لنرى شابًا لم يكن يعرف طريق المسجد قبل الثورة، قد أصبح في ظل الثورة وأعظم أمانيه أن يرقى إلى ربه شهيدًا في سبيل دينه.

- أظهرت الثورة مدى خيرية الأمة المسلمة، وأن الخير في أمة النبي صلى الله عليه وسلم لا ينقطع إلى قيام الساعة، وضرب شباب الإسلام في هذه الثورة نماذج خالدة للتضحية والفداء في سبيل الله عز وجل، وأظهروا من صنوف الشجاعة والإقدام في مواجهة العدو الصائل المدجج بالسلاح، ما تعجب له النفوس، وتقر به العيون، ليعيدوا لنا سيرة أبطال الإسلام الأوائل حية في واقع الأمة اليوم، ليكون هؤلاء الأبطال مثالًا يحتذى، ونبراسا تهتدي به أجيال الأمة الناشئة، فتسير على دربهم إن شاء الله حتى تحقق للأمة النصر المنشود.

- أظهرت الثورة السورية أن الأمة قادرة على إنتاج أدوات القوة إن استعادت مقدراتها من مغتصبيها من جوقة العملاء المتسلطين على رقابها. فعلى قلة إمكانات الثورة، فقد استطاعت إنتاج الكثير من الأسلحة والذخائر محلية الصنع، من مدافع هاون وراجمات صواريخ متعددة العيارات والمدايات، وأنتجت محليًا ذخائر لأسلحة متنوعة، وقناصات متعددة الأعيرة، وطائرات مسيرة (درونز) بقدرات كبيرة جدًا - لم تنتجها بعض الدول حتى - وطوّرت العديد من الأسلحة المغتنمة من النظام لتصبح أكثر فاعلية، إلى غير ذلك الكثير والكثير جدًا مما ابتكرته عقول أبناء الأمة في هذه الثورة، لتبقى هذه الصناعات رصيدًا في أرشيف الأمة الخالد، لتستفيد منه الأمة في صراعها الطويل.

كـذلك أخـرجـت الثورة السورية الكثير من الكوادر المتميزين في شتى المجالات من أبناء الأمة الذين تركوا بصماتهم في صفحات تاريخ الأمة، لتثبت أن هذه الأمة حيةٌ ولودٌ معطاءة، وأن أبناءها قادرون على العودة بها إلى مكانتها الطبيعية، لتقود الناس وتهديهم إلى الحق والنور والرشاد.

لقد أثبتت الثورة السورية أن الجهاد على بصيرة، هو الوسيلة الأنجع لتحرير الشعوب من سلطان الطواغيت. فعلى الرغم مما آلت إليه الثورة في الوقت الراهن، وعلى الرغم مما اعتراها في بعض مراحلها من مظاهر التقصير في بعض الجوانب، إلا أن من عايش الثورة أو قرأ عن مراحلها، وتطور الأحداث خلالها، يدرك أن الثورة قد نجحت في إسقاط نظام الأسد فعليا.

ففي عام (٢٠١٣) كانت الثورة تسيطر على ما نسبته (٧٥ %) تقريبًا من مساحة سوريا، مع سيطرةٍ على موارد الدولة الزراعية والصناعية والنفطية، وانهاك جيش النظام، بانشقاق عناصره وضباطه، وتحييد جنوده في المعارك بالقتل والإصابات، واغتنام معداته، والسيطرة على مطاراته الحربية، وإسقاط طائراته، إلى غير ذلك من صور تقدم الثورة على حساب النظام على كافة الأصعدة.

كل ذلك على الرغم من ضعف الإمكانات، وجوانب القصور في صف الثورة. إذن ما الذي حدث، حتى وصلت الثورة إلى ما وصلت إليه اليوم؟ هذا سؤال كبير جدًا، ولكن اختصارًا أقول: إن الدول قد تداعت لإنقاذ النظام المتهاوي المتهالك، فأخذت روسيا تمده بآلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر، وأنواع الوقود، والمواد

الغذائية، والخبراء العسكريين، وتدخلت إيران عسكريا بذراعها اللبناني حزب الله، وبالفيالق النوعية في جيشها من الحرث الثوري وغيره، واستقدمت أكبر قادتها العسكريين وخبراءها الاستراتيجيين لإنقاذ نظام الأسد من التداعي التام، ودعمت اقتصاد النظام بمئات المليارات مما أثر على اقتصادها كثيرًا ، ومع كل هذا الدعم بكل أشكاله وأصنافه، فقد حافظت الثورة على تقدمها النوعي على حساب النظام وحلفائه، حتى أوائل عام (٢٠١٦).

لكن بعد الإخفاقات المتتالية للنظام وحلفائه الإيرانيين في مواجهة الثورة، أعلنت روسيا تدخلها العسكري المباشر أواخر عام (٢٠١٥) ، لتزج بأعداد كبيرة من قطعها العسكرية (الجوية - البحرية - البرية) في أرض المعركة، وتستقدم شركات المرتزقة الروسية مثل (شركة واغنر) ، وتنشئ قواعدها العسكرية في الساحل السوري، وتستخدم آلاف الأطنان من الذخائر المحرمة دوليًا، لكسر عزيمة الثورة والضغط على الحاضنة الشعبية لها، تزامن ذلك مع طعنات داعش المتتالية في خاصرة الثورة، والتدخل الأمريكي تحت مظلة التحالف الدولي بحجة قتال داعش، وصناعة أمريكا أذرعًا عسكرية لها من الأحزاب الكردية الملحدة لتكون خنجرًا في خاصرة الثورة.

ومن جهة أخرى زاد تحكم الدول الداعمة في قرارات الفصائل بضغط دولي للحد من قوة الثورة، وتركيع الفصائل للحلول التي يفرضها اللاعبون الكبار في المجتمع الدولي، ومع مرور الوقت ، كانت الدول الكبرى قد درست الثورة من خلال مراكز أبحاثها وخبراءها وحددت نقاط القوة فيها وعوامل الضعف الكامنة بين صفوفها، ووضعت استراتيجيات أضعافها تمهيدًا للقضاء عليها، ومع وجود جوانب قصور في صفوف الثورة، تمكن هؤلاء وأولئك من تنفيذ مخططاتهم، إلى أن وصلت الثورة لوضعها الحالي.

- **الشاهد مما سبق** أن الثورة أثبتت أن الشعوب قادرة على هزيمة الأنظمة إذا اتخذت الجهاد الراشد سبيلًا لها، وأعدت العدة، وأخذت بالأسباب اللازمة، وتسلحت بالعزيمة والإرادة، وتحركت وفق سنن الله عز وجل.

- **إن من أبرز إيجابيات هذه الثورة أنها فضحت الغلاة**، وأظهرت كذب شعاراتهم التي يتشدقون بها، وبينت للأمة عوار هذا المنهج الخبيث، وأنه أبعد ما يكون عن هدي ونهج النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وضح جليًا أن الغلاة كانوا أمضى سلاحًا في يد أعداء الثورة، وأنهم كانوا خنجرًا في خاصرة الأمة بيد عدوها، فقد رأينا كيف أنهم شردوا الفصائل وقتلوا خيرة كوادر الأمة غدرًا وخيانة، وكفروا المسلمين والمجاهدين، وتعاونوا مع عدوهم على حصارهم في أكثر من موقف. ثم رأينا كيف أن دولتهم المزعومة قد زالت بعد أن أدوا لأعداء الأمة الدور الذي رسموه لهم. فالحمد لله الذي فضح منهجهم للأمة لتتعلم الدرس، وليتحصن أبناء الأمة بالوعي من هذه التجربة ضد هذا الفكر الخبيث، والمنهج السقيم.

- **أظهرت الثورة السورية نفاق المجتمع الدولي** الذي ينادي بالحرية لسائر شعوب العالم، ويزعم أنه يدافع عن حقوق الإنسان، ويقف في صف المظلومين، فأين كان هذا المجتمع الدولي من قتل مليون إنسان بريء، أغلبهم من الأطفال والنساء، وتهجير (١٠ مليون) إنسان بين مخيمات النزوح ودول اللجوء، واعتقال مئات الآلاف في سجون ومعتقلات نازية من قبل نظام الأسد المجرم. لقد بات جليًا لكل حر أن المجتمع الدولي لم يقف في صف المظلومين من الشعب السوري، ولا قام بدوره الإنساني الذي يدعيه على الإطلاق، بل كان أداة من أدوات الالتفاف على الثورة، وتضييع أهدافها بين أروقة قاعات المؤتمرات وصالات الاجتماعات. لذلك فإنه بعد التجربة السورية، ينبغي على الشعوب الثائرة التي تسعى للتحرر، أن تعد المجتمع الدولي وقراراته ومواقفه من الشعوب الثائرة في خندق الثورة المضادة، وتتحرك بناء على ذلك.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، وكما ذكرت آنفًا، فإن الحديث عن إيجابيات الثورة السورية لا ينقضي، بل إنه يحتاج إلى أبحاث ودراسات، ترصد آثارها الإيجابية على الأمة، وآثارها السلبية على أعداء الأمة، وأكتفي بالنقاط التي ذكرتها، وأسأل الله أن يقيض للأمة من يخدم الثورة السورية دراسة وبحثًا، ليخرج للأمة بدروس تنتفع بها في حاضرها ومستقبلها.

وبعد،

فإن الثورة السورية لم تنتهِ ، ولا تزال رحى المعارك دائرة، في حملة إجرامية جديدة، منذ قرابة ثلاثة أشهر من تاريخ كتابة هذه المقالة بقيادة روسية، تخطيطًا ودعمًا ومشاركة جوية وبرية، تهدف إلى كسر عزائم رجال الثورة الأحرار، واحتلال المزيد من الأراضي المحررة، ولا يزال رجال الثورة الأبرار صامدين ثابتين يواجهون عدوهم بما لديهم من إمكانيات محدودة مقارنة بإمكانات دولة في حجم روسيا، وقد كتب الله عز وجل على أيديهم كسر هذه الحملة الأخيرة وإيقاف تقدمها، وإعادة الكرة عليهم واستعادة بعض المناطق التي خسروها، بل وحرروا مناطق جديدة لم تحرر من قبل قط طوال عمر الثورة، وكبدوا العدو خسائر فادحة في العتاد والأفراد، حتى طلب الروس أكثر من مرة - عبر الوسيط التركي - هدنة لإيقاف المعركة، بعد الذي رأوه من بسالة وصمود هؤلاء المجاهدين الأبطال، إلا أن رجال الثورة رفضوا وأعلنوا استمرارهم في المعركة حتى يحكم الله بينهم وبين عدوهم.

ولعمري إن ما حدث في هذه الجولة الأخيرة ثلاثة شهور من المعارك الضارية لمن أعظم ما يبث الأمل في النفوس، ويثبت أننا وإن كنا أضعف من عدونا على مستوى الأدوات متى ما تسلحنا بالعزيمة، وأخذنا بالأسباب والأدوات المتاحة من غير تقصير، ووحدنا الصفوف، وتوكلنا على الله عزو جل، فإننا قادرون على مواجهة عدونا وكسره وإجباره على التراجع، بحول الله وقوته.

ختامًا

إن ثورات الربيع العربي تثبت أن الشعوب أقوى من حكامها، وأن هذه الأمة المسلمة أمة حية، وأن فجر حريتها آت لا ريب بحول الله وقوته. إن الشباب العربي المسلم الذي قام بهذه الثورات وذاق طعم الحرية فيها، لن يعود مرة أخرى إلى حظائر العبودية تحت سياط الجلادين. إن المقاومة والجهاد ستبقى هي خيار هذه الشعوب بإذن الله، وإن حاولوا تأديب الأحرار وإرهابهم بالتنكيل بالشعب السوري ليكون عبرة، فسينقلب السحر عليهم، وستكون دماء الأحرار الأبرار من كل الشعوب الثائرة، وقودًا للاستمرار، ونورًا يهتدي به السائرون على درب الحرية.

رسالة إلى منتظري تحرُك الجيش

محمود جمال

مقدمة

الانقلاب العسكري يعرف بأنه تغيير لنظام الحكم السائد في البلاد عن طريق إطاحة الجيش بالحاكم، سواء كان حاكمًا مدنيًا أو عسكريًا، ليتولى الحكم القائد العام للجيش أو قائد المجموعة التي تحركت للسيطرة على الحكم.

تشتهر الدول العربية والأفريقية بالانقلابات العسكرية التي يستولي فيها الجيش على الحكم، الأسباب في معظم الحالات أطماع شخصية تتعلق برغبة العسكريين بالاستيلاء على الحكم، بخلاف بعض المحاولات التي تمت لاستعادة الحياة الديمقراطية وإبعاد المؤسسة العسكرية عن الحكم ولكن في معظمها فشلت ولم تحقق أهدافها.

منذ عام ١٩٥٢م، وإلى وقتنا هذا وقع في مصر ثلاثة انقلابات عسكرية مكتملة الأركـان ونسردها بتلخيص في السطور الآتية:

(١) حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م

حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢م، تمثل حركة تغيير من داخل القوات المسلحة، وهي حركة تغيير فكرية تنفيذية، أخذت الحركة شكل الانقلاب العسكري، قادتها مجموعة من الضباط في رُتب مختلفة. وقد بدأ تنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٤٩م؛ يذكر السادات في كتابه (أسرار الثورة المصرية) أن عبد الناصر بدأ في تكوين قاعدة التنظيم في سبتمبر ١٩٤٩؛ وهي الحقيقة التي اعترف بها جميع الضباط الأحرار دون استثناء سواء في كتبهم أو مذكراتهم التي نشرت أو في أقوالهم التي أدلوا بها أمام لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.[١]

والـذي يقرأ مذكرات اللواء محمد نجيب والكلمات التي تحدث بها جمال عبد الناصر ومذكرات جميع الضباط الأحـرار التي كُتبت بعد نجاح تحرك الجيش عام ١٩٥٢م، يرى أن من أهم أسباب غضب أفراد الجيش من قيادات المؤسسة العسكرية وقتها هي الهزيمة في حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين وفضيحة الأسلحة الفاسدة، وكذلك الفساد الموجود بشكل كبير داخل المؤسسة العسكرية، والاستبداد بشكل عام الذي يمارَس على الشعب المصري من قبل الطبقة الحاكمة في تلك الفترة.

---

[١] كتاب محمد نجيب زعيم ثورة أم واجهة حركة. د/رفعت يونان ص ٢٣، رابط

وعن مضامين المنشورات التي كان ينشرها الضباط الأحـرار للضباط والمدنيين لحثهم على التغيير كَتب الرئيس الأسبق محمد نجيب في مذكراته، والتي نُشرت الطبعة الأولي منها عام ١٩٨٤ م، تحت اسم "كنت رئيساً لمصر: "كانت منشورات الضباط الأحرار تملأ وحدات الجيش.. وأحياناً كانت تخرج إلى المدنيين.. وكانت تتكلم عن فساد الحكم وتفضح عيوبه، وتصرخ في وجه انحرافات قادة الجيش، وتطالب بالإصلاح والتغيير. صدر المنشور الأول للضباط الأحرار في أكتوبر ١٩٥٠ م، تحت عنوان (نداء وتحذير) جاء فيه: إن الضباط الأحرار جزء لا يتجزأ من الشعب، وإذا كان الشعب يُحكم حكماً ملكياً مستبداً، فإن الجيش هو الآخر يخضع لنفس الظروف منذ سيق إلى مجزرة فلسطين دون رأي ودون استعداد، وفُرضت عليه الخطط الفاسدة والأسلحة الفاسدة".[٢]

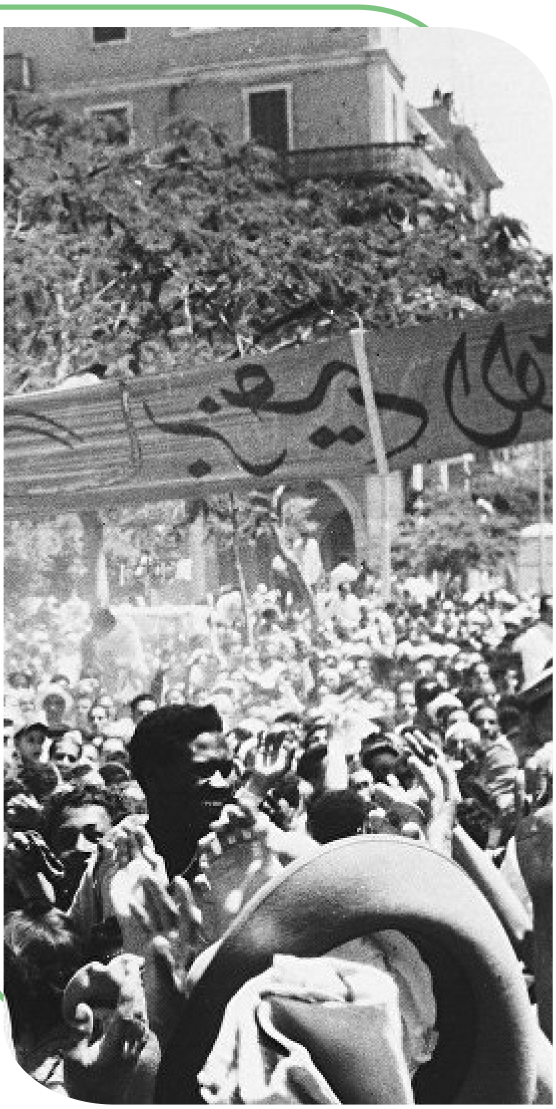

"يرى البعض أن أهم عامل ساعد الضباط الأحرار على تنفيذ حركتهم والقيام بانقلاب عسكري على الملك فـاروق، هـو الغضب الشعبي في الشارع المصري وقتها، والذي كان يعبر عنه جموع الشعب المصري بالتظاهر في المـدارس والجامعات والمصانع والميادين والشوارع، مع أن البعض يرى أن مجموعة الضباط الأحرار كانت سبباً في صناعة بعض الأحداث في تلك الفترة؛ لكي تخلق حالة من الضجر على الحكم الملكي، ولكن يتضح أنهم كانوا يعدون التظاهرات في الشوارع ووجود المواطنين في الميادين عاملاً أساسياً لحركتهم."

[٢] كتاب "كنت رئيساً لمصر" ص ٩٢ ، الرابط

ثورة ٢٥ يناير ١١٠٢ م تُعد من أهم الثورات التي حدثت في التاريخ المصري، نزل جموع الشعب المصري في ميادين أغلب محافظات مصر وبأعداد غفيرة، ولكن لم تكن تلك الثورة "لتنجح" إلا بإرادة الله، ثم بوقوف الجيش المصري الذي استغل تلك التظاهرات للإطاحة بالرئيس الأسبق محمد حسني مبارك، والبعض يصف ما تم من قبل المؤسسة العسكرية مع الرئيس الأسبق حسني مبارك بأنه "انقلاب عسكري" مكتمل الأركان.

"المؤسسة العسكرية تعاملت من أول لحظة اندلاع الثورة المصرية في ٢٥ يناير بخطة محكمة مدروسة، حتى تصل في نهاية الأمر إلى إعادة تموضعها مرة أخرى وتسيطر على زمام الأمور، وحتى وإن تعاملت المؤسسة العسكرية بشكل إيجابي في بداية الثورة وكانت عامل ضغط على حسني مبارك للتخلي عن الحكم لوجود مصالح كانت تبحث عنها المؤسسة العسكرية في أواخر حكمه، إلا أن تلك الخطوات كانت محسوبة بدقة، واتضح هذا جلياً في تفتيت القوى الثورية "صناعة الفرقة" التي عملت عليها المؤسسة العسكرية من أول لحظة تولى فيها المجلس العسكري برئاسة المشير محمد حسين طنطاوي إدارة حكم البلاد في ١١ فبراير ٢٠١١ م، بداية من استفتاء التعديلات الدستورية في مارس ٢٠١١م، ومروراً بالانتخابات البرلمانية لمجلسي الشعب والشوري نهاية ٢٠١١ م، ثم الانتخابات الرئاسية في جولتيها في مايو- يونيو ٢٠١٢ م."

بعد خطاب (مبارك) الأخير قبيل تنحيه عن الحكم، أصـدر الجيش المصري يوم الجمعة الموافق ١١ فبراير ٢٠١١ م بياناً أكد فيه أنـه "يضمن" الإصلاحات السياسية التي أعلنها مبارك، غير أن هذا البيان زاد المحتجين إحباطاً على إحباط.

وفي نهاية الأمر وتحديداً مساء يوم الجمعة الموافق ١١ فبراير ٢٠١١ م، نتيجة لتصاعد حدة الغضب الشعبي على (مبارك) أعلن نائب رئيس الجمهورية وقتها اللواء عمر سليمان تنحي (مبارك) عن الحكم وتولي المجلس العسكري إدارة شئون البلاد، وأصبح المجلس العسكري برئاسة المشير طنطاوي هـو الحاكم الفعلي للبلاد ويدير كافة النواحي داخل الدولة المصرية السياسية والاقتصادية والأمنية والإعلامية والمجتمعية.

ويري البعض أن هناك أربع نقاط مهمة، كان لها أثر واضح في تحديد موقف الجيش الإيجابي من الثورة، هي:

(١) عدم شعور الجيش بتوجه الاحتجاجات نحوه بشكل مباشر، خصوصاً أنه لم يكن أداة من أدوات النظام لقمع الشعب أو المعارضة، على الرغم من كونه حامياً للنظام.

(٢) عدم تأييد الجيش للتوريث لأن في ذلك خروجاً على مبدأ الحاكم ذي الخلفية العسكرية، بالإضافة لتهديد امتيازات الجيش وتقديره أن الاحتجاجات توقف فقط التوريث.

(٣) اتصاف الثورة بالشعبية منذ جمعة الغضب ٢٨ يناير ٢٠١١م وسلميتها إلى حد كبير.

(٤) موقف الجيش التونسي من الثورة في بلاده وحمايته المتظاهرين، مما جعل الجيش المصري مقيدًا بما فعله التونسي خاصة أن الجيش المصري أسير صورته الوطنية التاريخية[٣].

الجيش المصري أواخر حكم مبارك كان ينظر لجمال مبارك على أنه يُعد من قِبل مبارك ليصبح رئيساً لجمهورية مصر العربية، وهذا عند الجيش خروج على قواعد الحكم العسكري الذي أسسه جمال عبد الناصر عام **١٩٥٢** ، ولذلك يرى البعض أن الجيش كان متخذ قرار الإطاحة بحسني مبارك، ولكن كان ينتظر الوقت المناسب، وكانت ثورة يناير وخروج الشعب بمئات الآلاف في الشوارع حافزاً قوياً ومشجعاً له لإيقاف مشروع التوريث.

(٣) انقلاب ٣٠ يوليو ٢٠١٣ م

منذ إعلان المستشار فاروق سلطان نتيجة الانتخابات الرئاسية في يونيو **٢٠١٢** م، وفوز الرئيس محمد مرسي على منافسه في جولة الإعادة الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدني وقائد قوات الدفاع الجوي الأسبق، عملت المؤسسة العسكرية بخطة محكمة مدروسة من أجل التخلص من الرئيس مرسي وإعادة زمام الأمور مرة أخرى للعسكر التي من الصعب أن يقبل برئيس مدني فوق هرم السلطة.

فمن ينظر إلى تعامل العسكر مع الرئيس مرسي أول رئيس مدني منتخب حكم الدولة المصرية يرى كيفية خلق الأزمات الاقتصادية والأمنية والمجتمعية التي صنعها قيادات المؤسسة العسكرية التي كانت تملك مفاصل الدولة المصرية، لخلق حالة ضجر شعبي ضد مرسى وجماعة الإخوان المسلمين، لتؤدي في نهاية الأمر للتخلص من مرسي ومن أكبر جماعة لها ظهير شعبي داخل الدولة المصرية.

---

[٣] قراءة في كتاب العلاقات المدنية – العسكرية والتحول الديمقراطي في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، نون بوست، تاريخ النشر ٣٠ يوليو ٢٠١٦ م، تاريخ الدخول ١٠ سبتمبر ٢٠١٨ م، الرابط

خاتمة

عند النظر إلى الانقلابات العسكرية التي حدثت في مصر ونجحت في تحقيق أهدافها، نرى أنها كانت تتمتع بظهير شعبي وإن كان مدبراً، بخلاف الانقلابات التي فشلت في تحقيق أهدافها والتي جرت بدون ظهير شعبي كالانقلابات التي حاول جمال عبد الناصر تنفيذها عامي **١٩٥٣م** و **١٩٥٤م**.

الظهير الشعبي من الممكن أن يكون حقيقياً أو يكون ظهيراً شعبياً مصنوعاً، فمثلًا ثورة 25 يناير **٢٠١١** ، كانت تعبر عن غضب شعبي حقيقي نتج عنه متظاهرون وثوار حقيقيون من مختلف الأحزاب والأيديولوجيات والتوجهات.

وفي انقلاب **٣٠** يوليو **٢٠١٣** ، وبالرغم من سيطرة الجيش على مفاصل الدولة بشكل تام، إلا أنه صنع ظهيراً شعبياً لكي يتحرك ويطيح بالرئيس محمد مرسي، فالظهير الشعبي لأي حراك عسكري ضروري حتى يستطيع الانقلابيون تنفيذ مخططهم.

فما المقصود بذلك الكلام؟

المقصود أن من حين لآخر يخرج علينا البعض بمقولة "شرفاء الجيش" وأنهم يراقبون ما يفعله السيسي من تدمير للاقتصاد المصري، والتقارب مع الكيان الصهيوني، وتغيير عقيدة الجيش المصري، وتنكيله بالجميع سواء المدنيين أو العسكريين، وهذا يزيد من حالة الغضب لديهم، وأنهم يحاولون تغيير ذلك الواقع المرير التي وصلت إليه الدولة المصرية.

وهذا بالفعل موجود في رأيي؛ فالمؤسسة العسكرية المصرية ليست كتلة مصمتة، ولكنها في واقع الأمر عبارة عن تكوينات وأفراد، إذ كانت هناك اتجاهات متمثلة في عسكريين داخل الجيش المصري حاولت أن تعدل المسار الذي تحيد عنه المؤسسة العسكرية في بعض الفترات بسبب سياسة من يتولى قيادة الدولة وقتها. ومنها اتجاهات تخطت الفكر ودخلت إطار التنفيذ فنجح البعض وفشل البعض الآخر. [٤] بعد انقلاب ٣٠ يوليو ٢٠١٣م، كانت هناك العديد من محاولات لتصحيح مسار المؤسسة العسكرية، ولعل أبرزها ما كان في ٢٠١٥ ، والتي كُشفت وحوكم ٢٦ ضابطاً بتهمة محاولة تنفيذ بانقلاب عسكري، وعند النظر إلى تاريخ تلك المحاولة (٢٠١٥م)، نجدها حدثت في ظل الحراك الثوري في الشوارع والميادين المصرية.

فمن ينتظر تحرك قوات من الجيش لتنقلب على عبد الفتاح السيسي ونظامه، عليه أن ينظر إلى الشارع أولاً، فشارع الثورة المصرية خاوٍ من الثوار، وأصبحت الميادين المصرية في قبضة جنود السيسي، فعلى الراغبين والداعين إلى لتحرك عناصر من الجيش لكي تخلصهم من السيسي، عليهم أن يحيوا الثورة في الشوارع والميادين مرة أخرى، وكما قال لي أحد العسكريين: "الجيش عادة يتحرك إذا الشعب تحرك".

---

[٤] اتجاهات التغيير داخل المؤسسة العسكرية، محمود جمال، الرابط

طلائع التحرير ..

فتية النصر والتمكين

أحمد قنيطة

لم تعد غزة اليوم كما كانت في العقود الماضية، حين كان العمل الجهادي يقتصر على مجموعاتٍ صغيرةٍ مسلحةٍ تعمل في الخفاء وفي ظل ظروف أمنية معقدة لتنفيذ عملياتٍ نوعيةٍ ضد قوات الاحتلال الصهيوني، وذلك بعد قيام سلطة أوسلو بتوجيه ضرباتٍ قاسية للفصائل الفلسطينية المسلحة عام **١٩٩٦م** وعلى رأسها حركة حماس، والعمل على ملاحقة واعتقال كل من يظهر عليه أي توجهات نحو الفكر المقاوم.

بل إن الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عمدت إلى صناعة جيش من المخبرين المكلفين بمهام التجسس وجمع المعلومات عن الشباب المجاهد، لاعتقالهم والزج بهم في أقبية السجون، في محاولة لردعهم عن قتال الاحتلال الصهيوني إيذاناً بمرحلة جديدة أراد أن يفرضها أباطرة "السلام المزعوم" على الشعب الفلسطيني لدفعه قهراً من أجل "التعايش السلمي" مع من اغتصب أرضه وهدم بيته وشرّده من دياره إلى مخيمات اللجوء والشتات

ومع انطلاق شرارة انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠١ م أعادت الفصائل الفلسطينية تنظيم صفوفها من جديد، ونجحت في استقطاب أعدادٍ كبيرةٍ من الشباب الفلسطيني الذي يتوق إلى مقاومة عدوه وتحرير أرضه وتطهير مقدساته، ونفّذت الفصائل عمليات نوعية زلزلت أمن الكيان الصهيوني، وحطمت أسطورة منظومته الأمنية والعسكرية بسلسلة ممتدة من العمليات الاستشهادية وعمليات التفجير وإطلاق النار، والتي ازدادت قوةً وعنفواناً مع كل جريمة ومجزرة صهيونية يرتكبها العدو بحق أبناء الشعب الفلسطيني حتى عام ٢٠٠٦ م، حين فازت حركة حماس بالانتخابات البرلمانية فوزاً كاسحاً فرفضت حركة فتح ومجموعاتها المسلحة والأجهزة الأمنية التابعة لها القبول بنتائج الانتخابات وتسليم السلطة لحركة حماس، وصولاً إلى يوم الحسم العسكري لغزة الذي سيطرت به حركة حماس وكتائب القسام بشكل كامل على قطاع غزة، بعد أن طردت عصابات التخابر مع العدو ومجموعات القتل والخطف وفرق الموت المرتبطة بحركة فتح وأجهزتها الأمنية.

شرخٌ كبير وصدعٌ عظيم أصاب القضية الفلسطينية برمتها جراء تلك الأحداث الدامية، شنّت على إثرها سلطة فتح في رام الله حملات أمنية كبيرة على مناصري وكوادر وقادة حركة حماس والفصائل الفلسطينية المسلحة والمجموعات المجاهدة في الضفة المحتلة، وأعلنت عن حظر جميع أنشطة حركة حماس في الضفة، لتتحول بلداتها ومدنها جراء تلك السياسات الآثمة الظالمة إلى مناطق ضعيفة هزيلة لا تملك من أمرها شيء، ولا تقوى حتى على مقاومة جرائم المستوطنين الصهاينة الذين يسومون الأهالي والمزارعين الفلسطينيين سوء، بعد أن كانت أراضي الضفة الثائرة نموذجاً يحتذى به في المقاومة والجهاد، ولهيباً يحرق كيان العدو ومستوطنيه الذين لم يتجرؤوا على جرائمهم لولا خيانة أجهزة السلطة التي صادرت سلاح المجاهدين ولاحقت المقاومين وجرّمت الجهاد وحرّمت المقاومة، ورسخّت مفاهيم الذل والاستسلام التي ما زال يجابهها أبطال وأشاوس الضفة بعمليات الطعن والدهس وإطلاق النار التي لم تتوقف برغم كل إجراءات العدو وأذنابه.

على النقيض تماماً، كانت غزة تؤسس لمرحلة جديدة من مراحل النضال والكفاح الفلسطيني عبر ترسيخ فكرة الجهاد وتعميم ثقافة المقاومة في كافة المستويات وعلى جميع الأصعدة، من خلال المواقع الرسمية الحكومية "الأمنية والمدنية" والمؤسسات التعليمية والخدمية، وحتى بعض مؤسسات المجتمع المدني والبلديات وغيرها، فكان لا بد من بناء أجهزة أمنية شريفة تلاحق العملاء والمتخابرين مع العدو وتحمي ظهر المقاومة، وتكوين منظومة إعلامية تتبنى الخطاب الجهادي المقاوِم وتوجّه الرأي العام نحو دعم المجاهدين واحتضانهم والإعلاء من شأنهم وقيمتهم في المجتمع الفلسطيني، وكذلك صناعة جيلٍ قرآني فريد يعلم حق الله وحق عباده وواجبه تجاه بلاده، ويؤمن بفريضة الجهاد ويتوق للالتحاق بساحات النزال وميادين الأبطال.

وصدق الدكتور يوسف القرضاوي حين قال:

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السلاح ** وصناعة الأبطال علمُ في التراث لـه اتضاح
لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح ** في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح
شعـبُ بغيـر عـقيـدةٍ ورقُ تذريـه الريـاح ** من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح

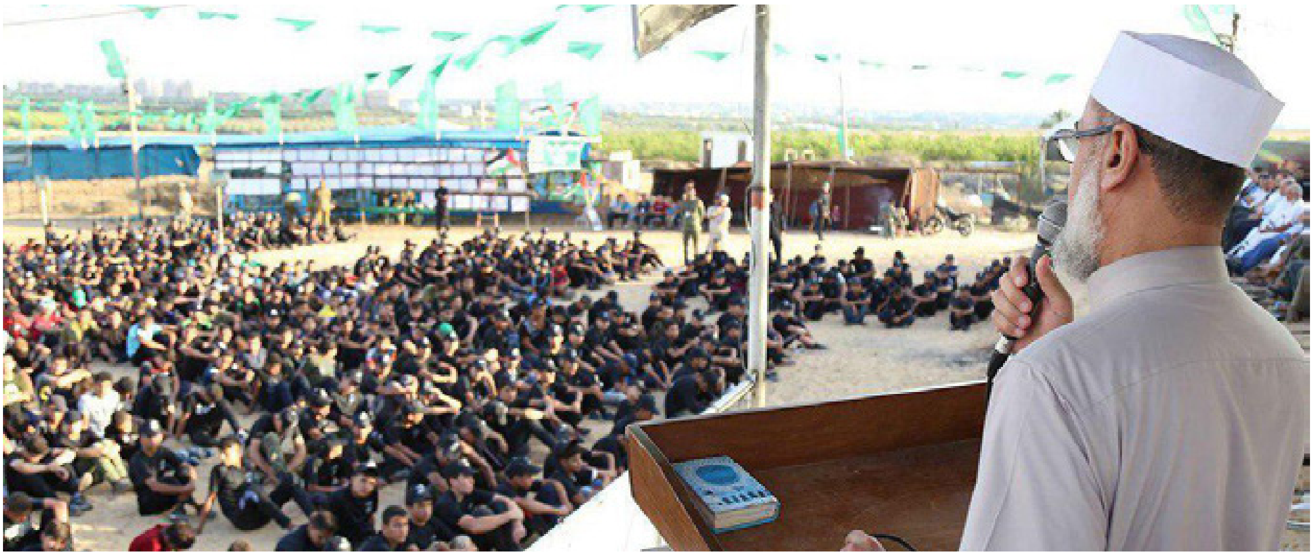

لذلك دأبـت كتائب القسام في السنوات الماضية على اعتماد برنامجٍ تدريبيٍ مكثف للفتية الفلسطينيين في المراحل الإعدادية والثانوية من جميع محافظات قطاع غزة تحت شعار "مخيمات طلائع التحرير.. للقدس ماضون"، وفتحت لهم مواقعها العسكرية خلال فترة الإجازة الصيفية، لكن تلك المخيمات توقّفت في السنوات الأخيرة بسبب الأزمة المالية الخانقة التي تمر بها حركة حماس وجناحها العسكري كتائب القسام في ظل الحصار المستمر على القطاع منذ ١٢ عامًا، لتعود من جديد هذا العام بعد أن أعلنت قيادة القسام انطلاق المخيمات ودعت الشباب الفلسطيني للالتحاق بها، حيث وضعت الكتائب جميع إمكانيات طواقمها التدريبية وسخرّت جميع مقدّراتها العسكرية واللوجستية لخدمة هذا المشروع الجهادي الكبير، إذ أدركت كتائب القسام أن معركة التحرير يجب أن تكون معركة شعبٍ وأمة وليست معركة تنظيماتٍ وأحزاب فحسب، فكان لا بد من العمل على صناعة هذا الجيل الفريد الذي سيكون بمثابة الرافد الأساسي لكتائب القسام والفصائل الفلسطينية في طريق المقاومة والتحرير.

عشرات الآلاف من الشباب والفتية الفلسطينيين من مختلف التوجهات والمشارب الفكرية استجابوا لدعوات كتائب القسام والتحقوا بركب الأبطال وانخرطوا في العملية التدريبية المميزة، وقالت الكتائب خلال مؤتمر صحفي للإعلان عن انطلاق فعاليات المخيمات بأن الإقبال الكبير الذي فاق كل التوقعات من الشباب على التسجيل في المخيمات ألقى على عاتقها مسؤولية كبيرة، وأن مخيمات طلائع التحرير هي بذرةٌ تضعها المقاومة في أرض غزة لتنبت نصراً وعزة وكرامة وتحريراً للمقدسات، فهذه المخيمات تهدف إلى توعية الجيل الواعد، لأن الصراع على الجيل هو صراعٌ محتدمٌ ودائم بين شعبنا وعدونا، فالشباب هم رأس مال الشعب والمقاومة وهم المعوَّل عليهم في مشروع التحرير والعودة.

يتلقى الفتية الملتحقون بالمخيمات برامج متنوعة في العقيدة الإسلامية والقيم والأخلاق، والدفاع المدني والإسعافات الأولية، ومحاضراتٍ مختلفة تهدف إلى تعزيز الشباب وصقل مهاراتهم وتحصينهم روحياً وفكرياً وأمنياً، من خلال برامج عمل مكثفة يشرف عليها مدربون ذوو خبرة وكفاءة من طواقم التدريب الخاصة بكتائب القسام، كما يتلقى الفتية تدريبات عسكرية وكشفية أشبه بتدريبات المقاتلين في صفوف المقاومة الفلسطينية من حيث القوة والشدة، وكيفية التعامل مع مختلف الأسلحة والرشاشات، ودروسٍ عملية في استخدام مهارات حرب المدن، ومحاكاة لتنفيذ العمليات خلف خطوط العدو من خلال الأنفاق الهجومية "التدريبية".

كذلك تتيح قيادة المخيمات للمشاركين في البرامج التدريبية فرصة للتعايش مع مختلف الأسلحة الفردية وطريقة تفكيكها وصيانتها، والرماية عليها بالذخيرة الحية بهدف الاعتياد على استخدام السلاح وكسر حاجز الرهبة لدى الفتية والشباب.

الإقبال الكبير على التسجيل في المخيمات ودفع الأهالي بأبنائهم إلى ميادين العز والفخار برغم الألم والحصار والفقر والفاقة، هو ردٌ عمليٌ من شعبنا الفلسطيني على العدو الصهيوني وأذنابه وداعميه، الذين يسعون من خلال ما يسمى بـ "صفقة القرن" و"مؤتمر البحرين الاقتصادي" لتصفية القضية الفلسطينية وكي وعي شعبنا المجاهد المؤمن بفكرة الجهاد، وهو درعُ حصين أمام كل المحاولات الرامية لاجتثاث الشعب الفلسطيني من أرضه ونزعه من وطنه، وهو برهانٌ جديد على تمسك شعبنا بحقوقه وثوابته وسعيه الدؤوب نحو تطهير مقدساته، وثقته الكبيرة بقيادة المقاومة ومشروع التحرير حتى كنس آخر مغتصب صهيوني من أرضنا المقدسة ورفع راية الإسلام فوق مآذن القدس وفلسطين.

مـــادة حصريـــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (١٧)

من مؤسسي
الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

كيف صار ناجح إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط

لماذا عزلنا أول أمير للجماعة الإسلامية في أسيوط بعد شهور؟!
حاول الإخوان إثناءنا عن عزل أمير الجماعة الإسلامية لكننا أصررنا على ذلك!
لم نستجب لمحاولات الإخوان فرض هيمنتهم على شباب الجماعة الإسلامية!

لقراءة الحلقات السابقة:

- تـمـهـيـد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقـة الأولـى: طفولة بسيطة في قريـة مغمـورة بالصعيد المجهـول
- الحلقـة الثانيـة: أول الطريق إلـى المسجد، وأول الطريـق إلـى السياسـة
- الحلقـة الثالثـة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلاميـة
- الحلقـة الـرابعـة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولـة
- الحلقـة الخامسـة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال

- الحلقة السادسة: قصتــــي مــــع التصـــوف
- الحلقة السابعة : قصــة ثــورة فــي المدرســة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
- الحلقة التاسعة: كنا البديل لما لا يعجبنا
- الحلقة العاشرة: أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عند أول عقبة
- الحلقة الحادية عشر : هكذا شاهد جيلنا حرب أكتوبر وانكسرت أحلامه في التحرير
- الحلقة الثانية عشر : بعد حوار دافعت فيه عن الشريعة الإسلامية انضممت للتيار اليساري
- الحلقة الثالثة عشر : قصتي مع اليسار في الجامعة
- الحلقة الرابعة عشر : بيعتي للشيخ السماوي
- الحلقة الخامسة عشر : بداية زعامة صلاح هاشم
- الحلقة السادسة عشر : محاولة الإخوان الهيمنة على جامعة أسيوط

خضع أسامة حافظ وكبار زعماء الطلاب لاختيار الشاب الطالب بالصف الأول بكلية الطب أسامة السيد كأمير للجماعة الإسلامية بالجامعة، في واحدة من وقائع الزهد وتوقير الكبار وتقديم مصلحة الدعوة على مصلحة النفس، على النحو الذي أشرنا إليه سابقًا.

لكن وَضْع أميرٍ على رأس الإخوة الكبار، وهو لا يتمتع بمواهب القيادة، لم يكن أمرًا طبيعيًا، لقد صار الأمر كأنه وُضِع أمير شكلي ليدير شيئًا أكبر منه وأعظم، وجرى الأمر بهذه الصورة: الاسم والمنصب الرسمي لأسامة السيد، والزعامة الحقيقية لمن هم كأسامة حافظ وحمدي عبد الرحمن وغيرهم. له الصورة ولهم حمل العبء العملي في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم يصدرون عن طبعهم وما استقر عليه الأمر في الفترة الماضية، فهم الذين يملكون مقاليد العمل على الحقيقة.

عُرِفت جامعة أسيوط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان هذا أبرز سمت للعمل الدعوي الشبابي فيها، وقد حاول أسامة السيد تعطيل هذا الأمر مرارًا ولكنه لم يفلح!

كان أسامة السيد واجهة قيادة الإخوان في الجامعة، وبدأ يظهر بالتدريج لماذا وضعوا أسامة السيد في هذا المنصب وأصروا عليه في ذلك المعسكر، كانت بداية المشكلات في اجتماع مجلس شورى الجامعة، حيث يجتمع أمراء الكليات ليتشاوروا ويقرروا ماذا يفعلون، فإذا اتفقوا على شيء قال أسامة السيد: لا بد من الرجوع للإخوة الكبار، لا يمكن أن نتصرف في هذا بغير إذن الإخوة الكبار، وهكذا!!.. يقصد بهم قيادة الإخوان في المحافظة.

ناجح إبراهيم

وعندئذ يزمجر الإخوة أمراء الكليات، أولئك الذين أسسوا العمل ونظموه وتحملوه وكانوا يعملون باستقلال تام قبل أن يطرأ عليهم هذا الوضع الجديد، ويعترضون على هذا الأسلوب الذي يرهن العمل وقراره لآخرين، وأسامة من جهة يصرّ على ألا يُمْضِي أي أمر دون هذا الرجوع لقيادته في الإخوان واستئذانهم، ويتمسَّك بشرعية اختياره أميرًا وله على الجميع حق السمع والطاعة!

تعددت الوقائع، يخرج أسامة من اجتماع مجلس شورى الجامعة إلى قيادة الإخوان بما استقر عليه أمرهم، فإما أقرُّوهم فعاد إليهم بإمضاء ما اتفقوا عليه، وإما اعترضوا فلم يُقِرُّوهم فسعى في نقض ما اتفقوا عليه بالأمس.

هنا بدأ ينمو عزمٌ لدى أسامة حافظ بأن يعزل أسامة السيد! وحدَّث بقية الإخوة بما في نفسه، يقول: اخترنا أسامة السيد أميرًا فإذا هو مخبر، يذهب إلى الإخوان فيخبرهم بكل شيء، وكلما اتفقنا على أمر رهنه لقرار ورغبة "الإخوة الكبار" عنده، والجامعة لها وضعها الذي لا يفهمه من كان خارجها، ولا يمكن أن يُقاد العمل في الجامعة من خارجها، وذهب هذا مثلًا وشعارًا "الجامعة تقاد من داخلها لا من خارجها".

وجد كلامه صدى في نفوس بقية الإخوة، وتشاوروا: كيف نعزله؟ قالوا: نجمع الناس كما جُمِعوا أول مرة، ونختار مرة أخرى، ولئن أعادوا اختياره فهم وما أرادوا، ولكن سيكون اختيارهم هذه المرة اختيارًا حرًّا يجب علينا قبوله، وإن لم يختاروه فلن نسمح مرة أخرى لهذا الضغط أن يُمارس علينا، ولن يُفرض علينا من لا نقتنع به.

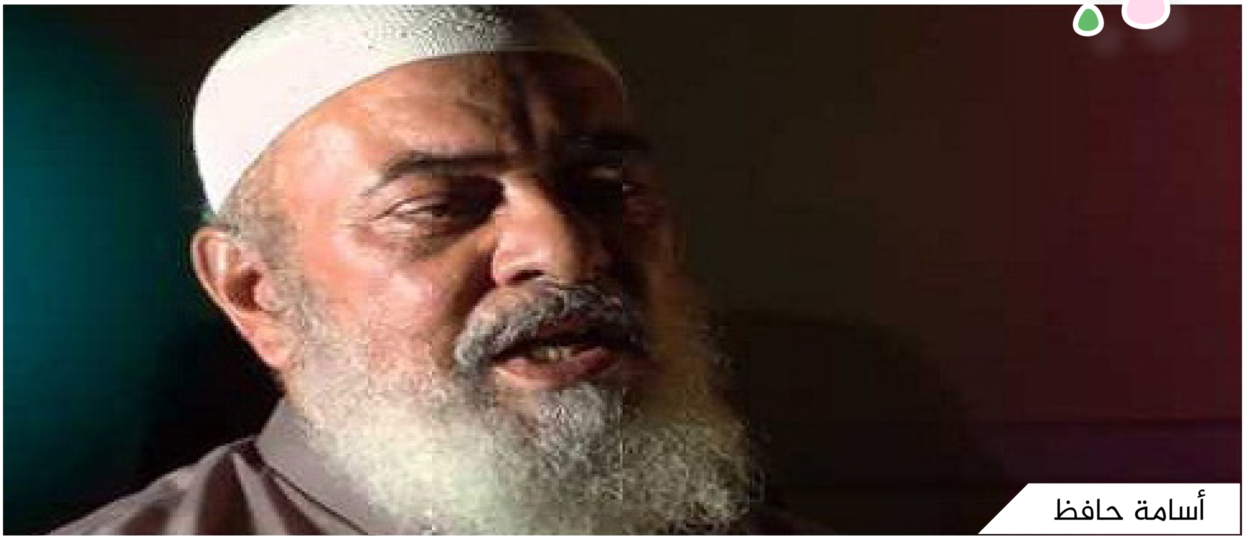

أسامة حافظ

كان هذا في ذات السنة، لقد تولى أسامة السيد إمارة الجامعة في النصف الأول من العام الدراسي ١٩٧٦ – ١٩٧٧ ، بدأت ولايته في شهر نوفمبر أو ديسمبر ١٩٧٦ ، وقضينا في هذه المشكلات الداخلية سحابة هذا العام حتى قررنا إقامة المعسكر العام لعزله في شهر مارس أو إبريل ١٩٧٧ ، واخترنا أن يكون أيضًا في مسجد عمر مكرم.

"وليس يعني هذا أن العمل في الجامعة قد توقف، بل نحن في هذه السنة قد فزنا برئاسة اتحاد الطلاب في الجامعة. وكما هو معروف فقد كانت إمكانيات اتحاد الطلاب الرسمي العصب الأقوى في العمل الدعوي في الجامعات تلك الفترة."

حاول الإخوان ما استطاعوا إثناءنا عن فكرة الدعوة إلى معسكر، ثم حاولوا إثناءنا عن فكرة الانتخابات في المعسكر أيضًا، طلبوا أن نعطيه فرصة أخرى، سنة أخرى، فترة جديدة، ونحن في إصرارنا نرفع شعار "الجامعة تقاد من داخلها لا من خارجها" و"لا فرصة إلا لمن يأتي به الطلاب"، يجادلوننا: ها قد صرنا في نهاية السنة الدراسية والوقت قد ضاق بل قد فات، ولن يتمكن الجديد من فعل شيء إذا انتُخِب، ونحن نرد: المهم عندنا أن يتحقق اختيار حقيقي للطلاب، ولئن اختاروه مرة أخرى فلا مشكلة عندنا..

وهكذا أخفقت محاولاتهم في إفساد الأمر، وذهبوا في محاولة حشد أتباعهم لإعادة انتخابه!

كان زعماء تنظيم المعسكر والدعوة إليه ثلاثة: أسامة حافظ وصلاح هاشم وأنا.. وكان حضور صلاح هاشم نوعًا من الدعم المعنوي والروحي بصفته مؤسس العمل الدعوي في الجامعة مع أنه كان قد تخرج في هذ الوقت.

بدأنا بانتخابات أمراء الكليات، وفيما أتذكر كانت النتائج هي هي، فيما عدا أمير المدينة الجامعية التي فاز بها هذه المرة ناجح إبراهيم وكان طالبًا في كلية الطب، خلفًا لأخ اسمه محمد عباس أو شيئًا قريبًا من هذا، وقد كان هذا الأخ من الجماعة الإسلامية أيضًا لكنه لم يعد من المشهورين من رجالها فيما بعد.

اختير أسامة السيد أميرًا لكلية الطب مرة أخرى، وجاء دور اللحظة المهمة، لاختيار أمير الجامعة.

كانت قيادات الإخوان حاضرة أيضًا، نفس المجموعة: د. دسوقي شملول ود.محمد حبيب والمحامي محمد الغزالي، وفيما أظن الأستاذ عبود أيضًا، وحاولوا قدر إمكانهم منع اختيار بديل لأسامة سيد، ولكن قيادات العمل الطلابي التي بدأته كانوا حاضرين أيضًا: صلاح هاشم وأسامة حافظ وحمدي عبد الرحمن وعبد الله عبد السلام. ولم أحضر أيضًا هذا الاجتماع، ولا أتذكر السبب الآن، لكني أدركته في اللحظات الأخيرة!

تداول الحاضرون فيمن يمكن أن يكون أميرًا للجامعة، كان الإجماع منعقدًا على رفض أسامة السيد، لكن ليس ثمة إجماع مقابل على شخص البديل، كان أسامة حافظ أول من طُرِح ليكون هو أمير الجامعة، ولكن أسامة حافظ رفض، رفض لئلا يقال: فعل هذا كله لأنها أرادها لنفسه. مثلما تنازل عنها أول مرة زهدًا فيها وإيثار لما ظنه مصلحة العمل الدعوي.

وكان الشيخ أسامة حافظ هو الذي رشح ناجح إبراهيم ليكون أميرًا للجامعة!

قال له الإخوان: لكن ناجح إبراهيم حليق، وأنت كنت تنتقد أسامة السيد لأنه حليق أيضًا، فقال: يلتحي من الآن. فالتحى ناجح من هذه اللحظة وصار أميرًا للجامعة.

انتهى الأمر، وصعد أسامة السيد المنبر ليقول كلمة، وهنا دخلت المسجد فأدركت هذه الكلمة!

الحق أنه قال كلمة مؤثرة حقًا، بل لقد أبكاني فيها، وذكر أن ما حدث اليوم أمر غير شرعي، وأنه خروج على أمير شرعي، وأنه عمل لا يجوز، ولا أرضى عنه، وبصفتي أميرًا للجماعة لا أقبل به، وذكر نحو هذا الكلام. كانت أشبه بخطبة التنحي عن العرش! وانقضى الأمر، وأعلن ناجح إبراهيم أميرًا للجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط.

وقبل أن أترك هذا المقام فإني أسأل الله أن يجمعنا بالدكتور أسامة السيد على خير وعلى ما يحب ويرضى، هو الآن طبيب كبير، ولكنه ليس حاضرًا في الساحة الإسلامية، أو بالأحرى لا أدري الآن أين موقعه من العمل الإسلامي، وقد قابلته مرة أخرى في التسعينات، لقد كان أخًا دمث الخلق جدًا، وكان أصغر منا في السن ونحن أكبر منه، واختاره الإخوان كما ذكرتُ من قبل لكي يقضي أكبر فترة ممكنة داخل الجامعة، بحيث يؤسس لحركة الإخوان داخل جامعة أسيوط، لكن هو كشاب كانت إمكانياته القيادية ضعيفة، لم يكن الأمر مجرد صغر في السنّ، فربما كان الأخ صغيرًا ولكن ارتفعت به مواهبه، ولذلك لم يكن قادرًا على احتواء الإخوة الذين كانوا أكبر منه وأقوى في مسألة القيادة.

كان يمكنه أن يعود للإخوان في كل القرارات لكن بشكل أذكى وأكثر احترافًا وحصافة، دون أن يعطي شعورًا لمجلس شورى الجماعة الإسلامية أنهم رهن قرار الإخوان، لقد كان يعلم أن هؤلاء الذين معه ليسوا أبناء جماعة الإخـوان، ومن ثَـمَّ فهم لا يقبلون بهذا الارتهان والقيادة من الخارج، أحسب أني لو كنتُ مكانه لكنت ركزت جهدي واهتمامي في احتواء أولئك الذين ليسوا من الإخوان ليصيروا جزءًا من الإخوان فيما بعد، فأشركهم معي في القرار والإدارة، بدلًا من أن أقـول: لا بد من الرجوع للإخوان، يمكنني أن أقـول: ما رأيكم أن نستفيد من رأي هؤلاء الإخوة الكبار ومن خبرتهم؟ هلم بنا لمزيد من الفائدة نناقش هذا الأمر مع هؤلاء الإخوة الكبار، وهكذا.. أنشئ نوعًا من التعامل والاحتكاك بين هؤلاء الإخوة وبين الإخوان الكبار عسى أن يجعلهم ذلك من الإخوان تدريجيًا!

لكن الـذي وقـع أن الإخـوة الكبار في الإخـوان كانوا كأصحاب الفيتو والمرجعية المفروضة على مجلس شـورى الجماعة الإسلامية بالجامعة، وبالتالي أنشأ هذا شعور النفور وقوَّى شعور الاستقلال لدى الشباب. لعله لو كان أسنَّ من ذلك وأخبر حركيًا كان سيمكنه أن يدير الأمر بشكل أفضل.

هل يمكننا صناعة ما يصنعون من صواريخ وغواصات؟

آدم الزراري

يقول المهدي المنجرة رحمه الله: "إن جهاز الحاسوب كان شرطًا من شروط حسابات القنبلة النووية وبإمكان جهاز الحاسوب العادي اليوم القيام بتلك الحسابات وأكثر ". مشيرًا بيده لجهاز حاسوبه أثناء حديثه في محاضرة في تسعينيات القرن الماضي.

فالتكنولوجيا أصبحت متاحة لجميع الأمم وتتسابق لبيعها وتعليمها لأهداف اقتصادية وبناء تحالفات وخطوط ممانعة؛ ولم تعد حكرًا على قطب واحد؛ وأوجدت العولمة مناخًا للعلم والتكنولوجيا وكسرت أي محاولة للاحتكار؛ فعلى سبيل المثال أنظمة التموقع العالمي GBS أصبحت متاحة، وأجهزة الاتصال والبرمجة وكل ما كان عائقًا في السابق أصبح بإمكان أي شركة الحصول عليه.

لن أسهب في الحديث عن تجربة عبد القادر خان في تجميع وصناعة القنبلة النووية، وهي أعقد ما يمكن من الصناعات، فبإمكان أفقر دولة من دولنا أن تمتلك مشاريع مماثلة، لكن غياب الإرادة، وعدم النجاح في فك الحصار وبناء تحالفات، أو الاكتفاء بالخطابات الشعبوية والصدام المباشر كما فعلت جماعة البغدادي، أو غياب تكوين الأطر وبناء مشاريع كما عجزت طالبان في ذلك، كلها أسباب حالت دون ذلك.

فأي مشروع يقوم على:

(١) كادر بشري (٢) تمويل (٣) مخطط

وأمتنا تزخر بالركنين الأساسيين الأولين.

لقد كانت تجربة محمد الزواوي في صناعة الطائرات وجمع الخبراء في نادي يصنع ما تكاسلت الدول العربية عن صناعته، رغم قلة اليد، علامة فارقة في تاريخ المعارك مع الصهاينة وأملًا لتأسيس رابطة صناعية من المهندسين لهذا الغرض حيث إننا نعلم أن الشهيد رحمه الله الزوواي كان بصدد صناعة غواصة نجح هواة الأوربيين في صناعتها في الغرب؛ فالغرب يعيش حرية الابتكار

و الصناعة عكس بلداننا بل إن تسجيل براءة الاختراع يكون بلغتهم عكس بلادنا التي تشترط كتابته بلغة المحتل، ما يمنع العديد من المبتكرين من صياغة ذلك خوفًا من السرقة الموهومة في أنفسهم، ناهيك عن المكوس اللازمة لتسجيل براءة الاختراع ما يثقل المخترعين.

"ولهذا يعد الجانب الاستخباراتي أشد أهمية في الصناعة العسكرية للحماية من الاختراق الاستخباراتي والعمل على حماية المعطيات من التدمير أو الاغتيال العسكري، فقد اغتالت المخابرات الأمريكية والصهيونية العلماء الإيرانيين والعراقيين لإفشال الصناعة العسكرية واغتال الموساد الصهيوني محمد الزواوي؛ بل وصل بها الحد إلى اختراق مشروع أوربا لتسريع الجسيمات وتدمير بياناته بحجة عدم مشاركتهم لها بالمعلومات."

كما أن معرفة أوجه العمل والأجدر في الصناعة أمر مهم، حتى لا يوجهنا الأعداء عبر معلومات مضللة و نبدد طاقاتنا في مشاريع غير استراتيجية، أو لا يمكن تطبيقها على غرار مشروع الليزر الياباني الذي لم يكن تطبيقه آنذاك ذا قابلية للتنفيذ أو مشاريع هتلر الصناعية ودخوله في حرب صناعية أكبر من طاقته.

إن المال الذي يعد الركيزة الأولى يمكن الحصول عليه عبر التحالف مع دولة؛ فلا يمكن اليوم بناء صناعة عسكرية متطورة إلا ببناء حلف صناعي؛ فحتى الطائرات الأمريكية ليست إلا نتاج تحالفات وتكتلات، والسماح للشركات الخاصة للصناعات العسكرية مع الدعم الجزئي لأبحاثها سيعزز الإنتاج العسكري لأمتنا.

بهذا الصدد تبرز أهمية تخصيص الأوقاف وتوجيه الشركات وبناء حلف مهندسين حول العالم الإسلامي، يدعمون المقاومة عبر منتدى يسمح لهم بتقسيم أعمالهم على سبيل المثال، والتخطيط لإنتاج غواصة أو طوربيد ودعم أبحاثهم ماليًا وماديًا ومتابعة مشاريعهم من بيوتهم وإجراء أبحاث دكتوراه في دولهم بالتخصصات التي تفيد أمتهم، وتخصيص جزء من راتبهم لهذا الوقف الإسلامي المهم.

بل لا مانع من استنساخ تجربة غولن في صناعة قادة ومساعدتهم على الوصول للمناصب عبر الاختراق، أو دعم دراستهم في تخصصات معينة؛ فلو افترضنا أن مِن الأمة الاسلامية طائفة خصصت مالها ووقتها وطاقتها لدعم المقاومة عبر هذا المشروع فإن الكيان الصهيوني سيُصدم بتطوير صواريخ المقاومة وبعدها، ولربما إسقاط طائراتها، وقد نجحت القاعدة في إصابة مدمرة كول بطريقة بدائية و بـ ٣٠٠ كلغرام من مادة ليست قوية كالمواد البلاستيكية اليوم، وذلك دون توجيه ولا دراسة، فأصابوا المدمرة بعطب شبه قاتل، وهذا قمة الاستعجال وإدخال الأمة في متاهة دون بناء صناعة وكوادر توجه توجيهًا دقيقًا لتقويض الكيان الصهيوني، ولهذا وجب الحذر من وهم التفوق والتسرع في إدخال أمتنا في مقتل وحروب كان الأجدر تأخيرها إلى حين.

« كما يمكن جني أموال الأبحاث من تسويق المنتج وبيعه لدول ككوريا الشمالية أو فنزويلا والبرازيل ودول الممانعة، أو بيع الأبحاث لها مقابل الدعم أو الحصول الغواصة حال صدور المنتج الأول.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (52)

مسار التغيير بين فرص ضائعة وأخرى سانحة ٥٧
د. عطية عدلان

عائدون إلى الجبل ٦٤
د. سلمان بن فهد العودة (فك الله أسره)

إعلام الثورة المصرية ٦٩
د.مجدي شلش

الجهاد ماض إلى يوم القيامة ٧٣
الشيخ محمد أبو زهرة

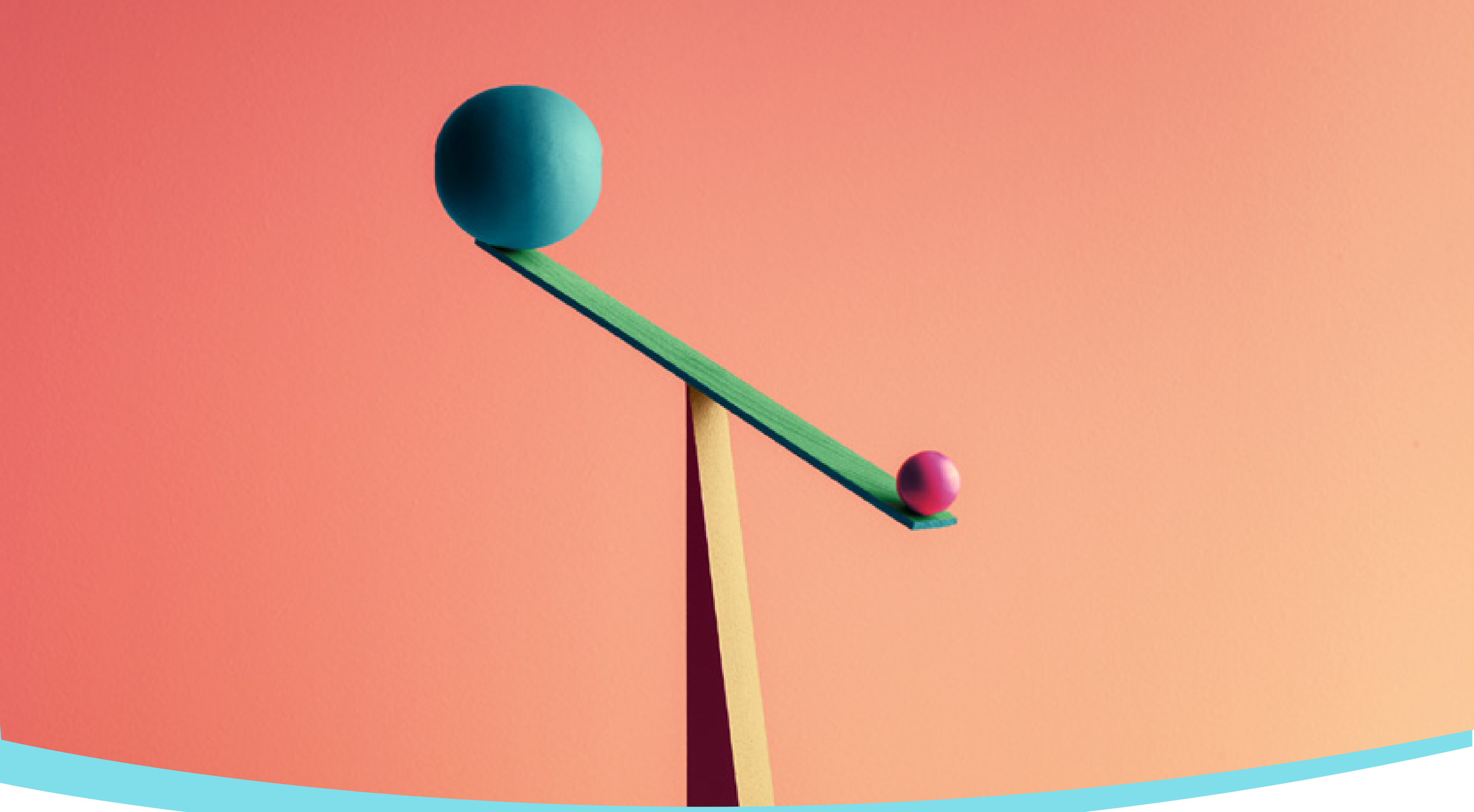

مسار التغيير

بين فرص ضائعة وأخرى سانحة

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

اليوم وبعد خراب الديار وانتشار الدمار يتجدد بقوة سؤال كان يُطْرح على استحياء: هل كانت ثورات الربيع العربيّ مؤامرةً وخدعة؟ وهل كانت كل هذه الأحداث مصنوعةً موضوعة؛ لإخراج البلاد العربية من أوضاع نكدة إلى أوضاع أنكد منها وأكدر، ونقل الشعوب المسلمة من حياة يفقدون فيها الحرية والعدالة الاجتماعية والعيش الكريم؛ إلى حياة يكفرون فيها بذلك كله لفقدانهم الحياة والأمن وكسرة الخبز؟ وللعدل والإنصاف: ليس على من اعتقد ذلك لوم إذا نظر إلى المشهد العام نظرة كلية فرأى المنطقة برمتها يظللها الموت وتنعق الغربان فوق أطلالها المتهدمة!!

ومع ذلك فالحقيقة تختلف كثيرًا عمّا يبدو لكثير من الناس، والحقيقة كذلك أننا نستدعي وعيًا حاضرًا بأثر رجعيّ ثم نبالغ في جلد الذات، ولو أنّ المشهد بكل فصوله تكرر ألف مرة لما تغير موقفنا في مرة واحدة منها عن موقفنا الذي وقفناه من قبل سواء في أول الطريق أو آخره، ففي أول الطريق سعادة غامرة بالثورة وتلقي لها بالبشر والسرور، وفي آخر الطريق تعاسة طامرة بالثورة ودعوات عليها وعلى الثائرين بالويل والثبور؛ هذه هي طبيعة الأمور، فالثورة إلى أن تستقر وترسو مراكبها على شاطئ النصر والتمكين تمضي في موجات متتابعة، كل موجة منها تعلو وتهبط، فإذا علت وأقبلت ارتفعت همة الخلق واغتبطت قلوب العباد، وإذا هبطت أو أدبرت هبط بهبوطها العزم وإدبر بإدبارها المضاء والحزم.

إنّ الثورة التي رأيناها ورآها العالم ليست من الأحداث التي يمكن أن تُصنع أو تُطبخ في دهاليز المؤامرات والمخابرات، ولو فُرض أنّ الذين أشعلوا فتيلها كانوا مدفوعين إلى ذلك بصورة ما - ولا أحسبهم كذلك أيضاً - فإنّ الثورة بعد إضرامها كانت ثورة شعب، ولا يضرها بعد اشتداد أوارها أن عود الثقاب كان مستعاراً، فليس القول بأنها مؤامرة مصنوعة إلا ضربًا من ضروب الخرص والتخمين، إن لم يكن استجابة لدعاوى الشيطنة لكل حركة والمباركة لكل سكون وركون واستكانة، فلنضرب الذكر صفحاً عن هذه الوساوس؛ لنخلص إلى ما يجب أن نخلص إليه وندلف فيه.

إنّ الذي صنعه أعداء الأمة ليس صناعة الثورة من أجل تشكيل شرق أوسط جديد كما يقال، وإنما هو على وجه الدقة حسن استثمار للحدث بما يخدم مشروعهم ويعجل بمراحله التي كانت آجلة، وهذا نجاح يحسب لهم وفشل يحسب علينا، ولعل هذا هو طرف الخيط الذي تتدحرج عليه حلقات الفرص الضائعة، فالحدث مادة خام، والكبار هم الذين يرتبون لاستثمار الحدث وتوجيهه، فأين كان الكبار عندما سنحت هذه الفرصة فأهدروها وضيعوها؟ أين كان يعيش العلماء والصلحاء والدعاة والهداة؟ أين كان يوجد السياسيون الوطنيون والإعلاميون المهنيون والأكاديميون البارزون؟ أين كان كبار الأمة وأهل الحل والعقد منها؟ هذا هو السؤال الذي يكشف عن العلة وراء الفرصة الضائعة، والإجابة عليه يمكن أن تنشئ فرصة أخرى ويجعلها متاحة سانحة.

إنّ الثورة عندما هبت رياحها فاجأت الجميع؛ فإذا هم ينظرون إلى الأحداث فاغرين أفواههم محدقين أبصارهم شاردين بألبابهم، لا رؤية لديهم ولا مشروع، لا مائدة تجمعهم ولا وثيقة توحدهم، وما إن أفاقوا من هول الصدمة حتى وجدوا أنفسهم يسيرون في فضاء الحرية التي هبطت عليهم من السماء كل في طريق، بينما صناديد الباطل قد نظموا صفوفهم وألقوا خلافاتهم خلف ظهورهم وشمروا عن ساعد الجد وأخذوا يرتبون ويخططون ويفعلون لنتحول نحن بكل تحركاتنا إلى رد فعل فقط!!

"كان يمكن أن تنتهي الثورة في وقت مبكر، وربما لو كان أعداؤنا يعلمون حالنا لأجهزوا علينا جميعًا في عشية أو ضحاها، ولكن الله سلم، فسنحت لنا فرصة ثانية، ها هي الثورة مستمرة في الميادين، ولم تفلح جموع البلطجية في فض الميدان عشية موقعة الجمل، وها هي جموع الشعب تعترف لنا بالفضل والسبق، وتؤكد بكافّة أبواقها على حقيقة نسيت اليوم وما كان لها أن تنسى، وهي أنّ الإخوان المسلمين أنقذوا الثورة في ساعة العسرة، والفرصة هي الالتحام بالشعب وتقوية اللحمة بالشباب؛ ألم نكن نعلم من قبل أن معركتنا مع الأنظمة إنما هي على هذا الشعب؟ ها هو الآن معنا كريش الطاووس حول جسده؛ فلماذا خسرناه، ولماذا بعد سقوط رأس النظام آثرنا أن ننحاز للعسكر؟! لقد كان خطأً فاحشاً أن نخسر من لا ربح لنا بخسرانه، وهذا الخطأ اضطرنا إلى الانجرار إلى خطأ آخر وهو التعجيل بالمسار السياسيّ قبل إتمام الثورة على الأرض، فضاعت الفرصة وخسرنا القوة الوحيدة التي كنّا نملكها وهي الحالة الثورية. "

ومع ذلك تداركتنا رحمة الله تعالى، فذهبنا بعد لأي إلى الانتخابات، ولا أستبعد أن يكون ثبات الشباب الذين أسلمناهم في واقعة (محمد محمود) كان سببًا في نزول العسكر على رغبتنا لتعجيل الانتخابات التي كانت عرضة للتأجيل والتسويف، وذهب الناس إلى صناديق الاقتراع ليصوتوا للإسلاميين، وليمنحوهم فرصة ليست قليلة ولا ضئيلة، فإذا هم يشكلون غالبية المجلس الذي سمي يومها برلمان الثورة، فوالله لو شاء البرلمان لامتلك زمام الأمور ولقاد مرحلة من الثورة داخل أروقة الدولة ومؤسساتها، ولكنه لم يشأ، وظل على مدى ستة أشهر يسن قوانين يعلم أنه لن يملك القدرة على تنفيذها، ويجلد حكومة يعلم أنها ليس لها من الأمر شيء، ونسي أنه برلمان الثورة وعاش دور برلمان الدولة التي اختزلت يومها في العسكر؛ فعصف العسكر بالبرلمان في عشية واحدة عبر مؤسسة هي أعرق مؤسسات الدولة العميقة (المحكمة الدستورية).

"لكن شبابنا الذين أُفْرِدوا في الشوارع بعد ضياع اللحمة الشعبية تحملوا عنّا هذا الوزر، ومرة أخرى تتداركنا رحمة الله تعالى؛ ليأتي رئيس للدولة منَّا نعرف صدقه وأمانته وحسبه ونسبه، فماذا فعلنا؟ لا يستطيع أحد أن يحاسبه الآن بعدما صعد شهيدًا وأخذ معه أسرار حكمه وقصره، لكننا نستطيع أن نحاسب أنفسنا: ألم نكن جميعاً على علم بما يجري من حولنا؟ ألم يكن الجو من حولنا يظلم يومًا بعد يوم؟ لماذا لم نتحرك بصورة ما؟ أين وحدتنا وإعدادنا وقوتنا الاجتماعية؟ لقد كان بوسعنا أن نفعل الكثير في وقت كانت الشرعية لنا والحكم في يدنا."

وهذه فرصة ثالثة أهدرناها، لا تقل الآن إننا أخطانا من الأصل بدخولنا سباق الرئاسة؛ لأننا جميعًا إن عاد بنا الزمن للوراء ألف مرة فلن نصنع في كل مرة إلا ما صنعناه أول مرة، لا تقل هذا لأنه وعلى فرض أننا أخطأنا في الخيار فقد كان بالإمكان أن نحول الخطأ إلى صواب والإخفاق إلى نجاح؛ لأن الوصول لرئاسة دولة ليس أمرًا سهلًا ولا عبثاً، فكم من رئيس استطاع بمفرده من منصبه أن يوسع لنفسه؛ فكيف إذا كان الرئيس وراءه قاعدة شعبية عريضة ومتماسكة؟! كان ينبغي إذ جاء منّا رئيس بغض النظر عن الخطوة أهي صواب أو خطأ - أن نحكم بأدوات الحكم، وأن نستثمر الظرف في نقل البلاد ونقل أنفسنا معها إلى وضع يعقد الأمور على المجرمين.

وبما أنّ الزمام قد أفلت من أيدينا وصرنا بالحكم على حافة الهاوية ورأينا الأمور تزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم؛ فلماذا لم نخرج على الناس بالدعوة لانتخابات مبكرة ونخرج من أوسع الأبـواب وأسلمها؛ لنعود إلى بيوتنا الدعوية والعدو لا يـزال لـم يكتشف ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على خلق الله أجمعين؟ لماذا أهدرنا هذه الفرصة أيضًا والحرب كرٌّ وفرّ؟ وإذ آثرنا المضيّ في طريق (الصمود!) فلماذا لم نتخذ له عدته؟ أو لماذا اخترناه من الأصل إذا لم يكن لنا عدة؟ ومع ذلك فإن رحمة الله تداركتنا فجاءت رابعة على خلاف ما كنا نتوقع وما كان العالم كله يتوقع عـددًا وقوة واستعدادًا للموت في سبيل الله؛ فما الـذي صنعناه بهذا المخزون الاستراتيجي الهائل؟ جلسنا نغني ونخطب في ميدان رابعة؟!

فرص تلو فرص ضائعة، فلو أنّ قطيعًا من البشر مثلنا كان يتقاضى رواتب من أعداء أمتنا مقابل أن يضيع علينا كل هذه الفرص ما أفلح في صنع ما صنعناه بأنفسنا لأنفسنا؛ فما أحلم الله علينا! وما أشد قسوتنا على أنفسنا وعلى أتباعنا!! والعجيب أننا لا نزال قادرين على تضييع الفرص وإهدار المكاسب، ولا نزال نمارس عن عمد هذا الإهدار وهذا التضييع، ولكن العجيب أننا لا نزال نملك من الفرص الكثير؛ فهل سنضيعها مثلما ضيعنا ما قبلها؟!

لقد خرجنا من مصر ومكثنا في تركيا وقطر وماليزيا وغيرها من بلاد الله ننعم بالأمن والسكون، فلم نفلح في أخذ الخطوة الأولى، التي لا نجاح ولا فلاح بها، وهي أن نجلس معًا فندرس أخطاءنا ونضع رؤيتنا ومشروعنا لنبدأ بالحركة، ومرت السنون الآمنة المطمئنة، وهبت على الدنيا رياح أخرى منذرة بكثير مما نخشاه في المهجر، ومع ذلك الفرصة سانحة، وما دام في المسلم نفس يتردد فالفرصة أمامه متاحة، نستطيع في غربتنا هذه أن نتوحد إن شئنا وأن نتكتل إن أردنا وأن ننطلق في العمل إن توفرت لدينا النية الصحيحة، وساعتها سوف يفتح الله لنا الأبواب المغلقة.

إننا أمّة صاحبة رسالة عالمية تستهدف الفطرة الإنسانية وتتناغم معها، وإن ديننا هو دين الفطرة، وإن قضيتنا قضية عادلة لا يتردد عاقل عادل في التجاوب معها، وإن الجسد المصري في الخارج ممتد من أقصى الأرض إلى أقصاها، ونستطيع بهذه الإمكانيات الجبارة أن نحول الكوكب الأرضي إلى غربة مظلمة على هذا النظام، وأن نحوله في هذه الأرض إلى قطعة من الخردة ملقاة في فلاة، والعالم الآن لا يعيش في جزائر منعزلة، وليس على وجه المعمورة شعب يعيش منفردًا ولا حكومة تحيا كما تشاء دون أن يكون لها شرعية ولو مزيفة، فإذا نجحنا في إحراج القوى الدولية التي تدعم النظام الانقلابي أمام شعوبها فسوف نستطيع فعل الكثير والكثير.

وساعتها يمكن أن يصل صوتنا للداخل، ومع تفاقم الأزمات نستطيع أن نحرك الشعب، وإذا كانت الفرص التي سنحت عند بيع تيران وصنافير أو عند قرارات رفع الأسعار أو غير ذلك فلا يزال النظام غارقًا في مؤهلات الفشل والإخفاق، فهل سنستطيع فعل شيء؟ أم أننا سنستمر في إهدار الفرص إلى أن يأتي الاستبدال؟ ونسأل الله العافية، والكلام هنا للكبار، ولاسيما في الخارج، فاللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا. آمين

عائدون إلى الجبل

د. سلمان بن فهد العودة *

بفوز المرشح الجمهوري (دونالد ترامب)، وبداية تشكّل فريقه اليميني؛ الذي صار جديراً أن يسمى: (فريق الأحلام الصهيوني)؛ أصبحت المخاطر على قضايانا العربية والإسلامية وخاصة قضية بيت المقدس والمسجد الأقصى أكثر جدية.

أمريكا دولة مؤسسات، نعم؛ ولكن هذه المؤسسات تتحوَّل بفعل تغيُّر وجهات الناخبين، وسطوة الأذرع الإعلامية، ومصالح الاقتصاد، والسياسة، ولوبيات الضغط.

التيارات الدينية المتطرفة في أمريكا وإسرائيل لم تعد في الهامش؛ كما هو الحال في العالم العربي، بل في متن الأحداث وصلبها.

---

* نعيد نشر هذا المقال للدكتور الأسير سلمان العودة فك الله أسره.

قبل أيام حذّرت (محكمة العدل العليا الإسرائيلية)؛ -كما تسمى- من خطر حقيقي تمثله حركة يمينية متطرفة قد تشعل الأوضاع في المنطقة كلها بسبب أيديولوجيتها التلمودية، وهي تعمل على تسريع بناء الهيكل وهدم المسجد الأقصى، وهي من أخطر حركات الهيكل المزعوم القومية.

(عائدون إلى الجبل)؛ حركة جديدة أسسها نشطاء إرهابيون من (شبيبة التلال)، وهذه الشبيبة تضم أعضاء ينفذون اعتداءات ضد الفلسطينيين ومزروعاتهم وأملاكهم ومقدّساتهم، ويقيمون البؤر الاستيطانية العشوائية في الضفة المحتلة.

هؤلاء المتطرفون لا يخفون هدفهم بهدم المسجد وبناء الهيكل.

وقد تجدّدت وتعززت آمالهم بتوسع الكيان الصهيوني للسيطرة على أجزاء من سوريا ولبنان ومصر وبلاد أخرى.

وزير الحرب الصهيوني المتشدد (ليبرمان)؛ يهدد بحرب شاملة على غزة ويؤكد: (وأود التوضيح مرة أخرى: ستكون بالنسبة لهم المواجهه الأخيرة حيث سندمرهم بالكامل).

تهديد بالقضاء على الحياة الإنسانية في غزة.

- رئيس الوزراء الإسرائيلي (نيتنياهو) أعلن عزمه المشاركة شخصياً في الحفريات أسفل المسجد الأقصى مما دعا الجامعة العربية إلى التحذير من ذلك!

سلطة الآثار الإسرائيلية اقتحمت مقبرة باب الرحمة الملاصقة للمسجد، وهدمت وجرفت بعض القبور؛ ضمن خطة صهيونية ممنهجة ضد المعالم والمواقع والمقابر؛ التي تضم رفات كبار الصحابة وقادة الفتح الإسلامي.

وكان هذا ردًا مباشرًا على قرارين جريئين اعتمدتهما منظمة (اليونسكو)، وينصّان على الحفاظ على التراث الثقافي الفلسطيني وطابعه المميز في القدس، واعتبار المسجد الأقصى وكامل الحرم القدسي الشريف موقعا إسلاميًا مقدّسًا ومخصصًا للعبادة.

كبح محكمة الصهاينة للشباب المتطرفين العائدين إلى الجبل ليس قمعًا للإرهاب، بل هو تعزيز لإرهابية الدولة ذاتها وتهديدها للسلم والأمن في العالم، وكأن هؤلاء الشباب المتحمسين ينازعونها اختصاصها، ويزايدون على وجهتها، ويستعجلون ما تمارسه أجهزتها الرسمية وفق خطط مدروسة باتت مكشوفة معروفة..

" في الوقت الذي تنتقد مؤسسات عالمية معنية بالآثار ما يفعله شباب مسلمون متطرفون بآثار يظفرون بها في العراق أو سوريا من تدمير، فإننا نجد صمتًا مطبقًا إزاء ممارسات على أعلى المستويات يشارك فيها رئيس الوزراء الصهيوني بنفسه، وقد تعهّد في تصريحات صحفية بالمشاركة الشخصية في نقل التراب من أسفل المسجد الأقصى؛ داعيًا المجتمع اليهودي إلى الانضمام إليه. "

وفي السياق قررت الحكومة الإسرائيلية إجبار كل إسرائيلي على المشاركة في الحفريات التي تنفذها أسفل المسجد الأقصى وفي محيطه وفي باقي مناطق القدس؛ بهدف الحصول على أدلة تربط اليهود بالمكان.

وقال رئيس سلطة الآثار بالحكومة الصهيونية إسرائيل حسون: (إن سلطته قررت بالتنسيق مع الحكومة في أن يشارك كل شاب إسرائيلي قبل تجنيده بالجيش في عمليات الحفر أسفل الأقصى وفي محيطه وداخل البلدة القديمة من القدس، على اعتبار أنها مهمة وطنية).

إزاء تحولات عالمية وتحديات إقليمية يطول العجب من صمتنا وتجاهلنا وفرقتنا، وانشغالنا بالتوافه والجزئيات والشكليات والصراعات الهامشية، وإصرارنا على البقاء في مربع التفرج وأحياناً الإسهام في خدمة مخططات الأعداء ولو بغير وعي!

اضطربت عند بعض قومنا بوصلة العدو والصديق فصار الحليف الصديق عدواً متربصاً، والعدو التاريخي صديقًا مأمون الجانب!

وتطوع آخرون بالعمل كمحامين عن المواقف الصهيونية ولو اقتضى الأمر الهجوم الصريح والمباشر على كل ما هو عروبي أو إسلامي!

"إن لم نضع في صلب رؤيتنا الاستراتيجية أن هذه التحولات تُشكّل تهديداً وجودياً لدولنا وشعوبنا وجماعاتنا، ولم نضع أساليب جديدة للمواجهة، فمعناه أننا مثل الذي يجرفه طوفان هادرٌ من السيول وهو ينظر إلى السماء ويقول: الجو غائمُ اليوم!"

أرى خـلَلَ الرمـادِ وميضَ جَمْـرٍ *** ويوشكُ أن يكونَ له ضرامُ

فإنّ النارَ بالعـوديـن تُـذْكـى *** وإنّ الحـربَ أولـهـا كـلامُ

إذا لـم يطفها عـقـلاءُ قـومٍ *** يكونُ وقودها جثثٌ وهامُ

أقول من التعجبِ ليت شعري *** أأيقـاظٌ أميـة أم نيـامُ؟

إعلام الثورة المصرية

أ.د مجدي شلش

- الإعلام بكل صوره وفنونه له تأثير السحر على العقول والقلوب للصغير والكبير والنساء والرجال. أصبح لغة عالمية للتواصل بين الناس له قواعده وقيمه وموازينه وعلمه وفقهه.لا يختلف اثنان أن الإعلام له دور كبير في بناء الأمم على قواعد راشدة إذا كان نابعًا من همومها ومعبرًا عن آمالها وثقافتها.

- الثورة المصرية الآن في حالة حرجة تحتاج إلى إنعاش إعلامي يقوي ظهرها ويدافع عن قيمها ويبين عدوها ويظهر خليلها. إعلام يؤمن بأن الثورة المصرية هي أقرب الثورات للنجاح ويقدم النموذج الراقي لجمع شمل الثوار ويعمل بكل طاقته لفضح إعلامي الانقلاب العسكري الخائن.

الثورة المصرية جمع الله لها نماذج إعلامية فذة قادرة على التأثير بشكل إيجابي في عموم الشعب المصري. تطور الإعلام الثوري واضح وملحوظ في التقنية والمهنية وأصبح منافسًا قويًا لساحة الإعلام الانقلابي.

ثورة الشعب المصري الآن تمثل حالة حياة أو موت ليس للشعب المصري فقط وإنما لعموم الأمة العربية والإسلامية، حيث الامتداد الشيعي والصهيوني ليس على مستوى الثقافة والتطبيع بل تعداه إلى ابتلاع عواصم عربية ترزح تحت الحكم الرافضي الذي لا يؤمن إلا بذاته وشيعته. وكذا الامتداد الصهيوني الذي يدير عواصم عربية وإفريقية كبرى.

تبني فكرة المعارضة السياسية في ظل الحالة الراهنة من بعض القنوات الفضائية التي نشأت في ظلال الثورة وأثناء قوتها نوعًا من التراجع الثوري الذي قد تكون عواقبه وخيمة علينا جميعًا.

الإعلام الثوري ليس في غالبه رد فعل يومي لما يقوله إعلاميي الانقلاب؛ وإنما له موضوعه واستراتيجيته التي ينطلق منها. كثرت البرامج التي تعلق على شواذ فكر إعلاميي الانقلاب، حيث إعلامنا أصبح وسيلة لترويج سمومهم وضلالهم وعفنهم.

قد تكون هناك مندوحة لنقل بعض الفقرات، لكن المساحة الكبيرة والمتكررة قد تنبئ عن عدم استراتيجية إعلامية ثورية. الثورة حية في القلوب، وروحها عطرة بين الحنايا والضلوع، وأسبابها قائمة أكثر من شرارة بدايتها، والإعلام الفذ ركن من أركانها، وباعث الروح فيها. الثورة أصبحت مضمون بعد أن كانت فكرة، ورصيد كبير بعد أن زلت فترة، وقوة صلبة تجاوزت الأرض الرخوة.

أصبح الإعلام الثوري في حاجة ملحة إلى استراتيجية إعلامية ثورية تكون إطارًا حاكمًا لكل فنون الإعلام، صغيرها وكبيرها، المرئي منها والمقروء والمسموع. استراتيجية شاملة ومتنوعة وعميقة ومؤثرة، إذ الإعلام الثوري أصبح فريضة ثورية وضرورة واقعية وقوة معنوية ناعمة.

الإعلام الانقلابي يكاد يتفق الجميع على قوته وتأثيره، لأنه نابع من ثورة مضادة أحسنت استغلاله لتمزيق الصفوف وبعثرة الجهود، وتشويه الثورة وأصحابها، وهدم كل القيم الإنسانية النبيلة. مساحة الإعلام كبيرة، غابت عن بعضها روح الثورة وريحتها، ونشم الآن من بعض القنوات الفضائية تبني فكرة المعارضة السياسية لأنظمة القتل والدمار، أنظمة خانت الأوطان وباعت الديار.

رأيي المحدود في الإعـلام الذي ينقلب على الثورة المصرية ويتجه نحو طرح البديل السياسي المعارض هو من قبيل أو قريب من الثورة المضادة. قلة من الإعلاميين تركب الموجة العالية، شأن أي جملة من البشر في أي تخصص سياسي أو شرعي أو اقتصادي، والظاهر من البعض الآن صوت المعارضة والتصالح مع القتلة والمجرمين، إذ أصبح صوت الثورة بلا دعم مادي ولا معنوي.

الثورة المصرية تمتلك رصيد كبير من السادة الإعلاميين والصحفيين الأفذاذ الذين يؤمنون بأهدافها وغاياتها من الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية لكل أبناء الشعب المصري.تسعد الثورة المصرية بهم وتفتخر على غيرها من الثورات العربية الأخرى.

إن مربع الإعلام قابل للاختراق كأي مربع آخر وأصبح من الضروري واللازم إنشاء منتدى إعلامي الثورة المصرية . يهتم بوضع التصورات والمضامين الإعلامية المناسبة، لحساسية وضعية الثورة في الداخل والخارج. وكيفية تفعيل وسائل الإعلام المختلفة للتخديم على الثورة والسير بها نحو النضوج والنجاح.

الجهاد ماض إلى يوم القيامة

الشيخ محمد أبو زهرة[١]

◎ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التوبة: ٧٣)

بيّن الله تعالى حال المشركين، وما هم عليه، وذكر العذاب الذي يستقبلهم في الدنيا والآخرة، ثم بين حال المؤمنين، ثم يدعو سبحانه إلى استمرار المؤمنين في الجهاد، غير وانين ولا مقصرين.

---

[١] زهرة التفاسير، الشيخ أبو زهرة، تفسير سورة التوبة.

والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين معه، وكان الخطاب للنبي ابتداء لأنه القائد الأعلى، ولأنه الهادي والمرشد، والموجه، و(جاهد) معناها ابذل الجهد في دفع الكفار والمنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بألسنتهم، ويقولون آمنا بأفواههم، وما هم بمؤمنين.

ولا شك أن بذل الجهد في دفع الكفار والمنافقين يختلف، فالكفار الذين أعلنوا الكفر وفتنوا المسلمين يكون جهادهم دفعًا بالسيف والقتال، والكفار الذين لم يعلنوا الكفر وأبطنوه، ولم يفتنوا المسلمين بالإيذاء والتعذيب كان يفعل ذلك المشركون في مكة ولكنهم يثيرون الفساد، والدس والفت في عضد المؤمنين، فدفعهم يكون بدفع أذاهم وشرهم، ومقاومة ما يبثونه في المؤمنين من تضليل، وأن يبعدهم عنهم، وبطلان ما يدعون إليه، وإقامة الأدلة عليهم ومنع تأثيرهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم)، ولا شك أن الجهاد باللسان له مقامه في جهاد المشركين، وأشد ما يكون تأثيرًا في جهاد المنافقين. ومن جهاد المنافقين ألا يبش لهم، حتى يطمعوا في خداعه، بل يشعرهم بأنه في حذر منهم، يقول ابن مسعود: يستنكر أفعالهم بيده، فإن لم يستطع فباكفهرار وجهه.

وفي الجملة بسدّ عليهم باب خديعتهم، وقال الحسن البصري: "إن جهاد المنافقين بإقامة الحدود"، وذلك على أساس مذهبه من أن مرتكب الكبيرة منافق، ويرى ابن جرير أن يكون جهادهم بالسيف إذا كشف نفاقهم، وأظهروا كفرهم، ويقول في ذلك إنهم في هذه الحال يخرجون من إسرار النفاق إلى الجهر بالكفر، فيدخلون في عموم الكفار المظهرين الكفر. ولقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: "بعث رسول الله بأربعة أسياف: سيف للمشركين بيّنه الله تعالى بقوله: (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ)، وسيف لكفار أهل الكتاب، وبيّنه سبحانه وتعالى بقوله: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرمون ما حرم الله وَرَسُوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}، وسيف للمنافقين بيّنه الله سبحانه بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) ، وسيف للبغاة كما قال تعالى: (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ).

وقد روي أن الذي تولى سيف المنافقين هو الصديق خليفة رسول الله، فقد تكشف نفاقهم في الردة التي وقعت عقب وفاة رسول الله، إذ ارتد الأعراب الذين قال الله تعالى عنهم: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ)، وإنه لهذا قال ابن جرير بقتل المنافق، وقد لاحظ وصف الظهور، كالذين ارتدوا في عهد الصديق وقاتلهم عندما أرادوا أن يؤدوا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فقال لهم رضي الله عنه: «سلم مخزية، أو حرب مجلية».

وقوله تعالى:(وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) أي عاملهم بخشونة، ولا ترفق بهم، فإن الرفق يكون بحملهم على الإيمان بالشدة عليهم حتى لا يمعنوا في الكفر، وعسى أن تكون الشدة دافعة غرورهم مانعة طغواءهم، وهذا عذابهم في الدنيا ويكون بالهزيمة والخزي والخسران.

أما جزاؤهم في الآخرة، فقد ذكره سبحانه وتعالى: (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) والمعنى يسيرون إلى الآخرة حتى يجدوا المأوى الذي يؤويهم، وهو جهنم، وفي هذا نوع من التهكم؛ لأن المأوى يأوي إليه الإنسان ليجد فيه المستقر والراحة والاطمئنان، فذكْر المأوى في هذا المقام تهكم عليهم كقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران].

ثم ذم الله تعالى هذا المأوى فقال: (وَبِئْسَ الْمَصِير) الذي آووا إليه. اللهم قنا عذاب النار .

لقد قال صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». فقول الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، كان أوضح أوصافهم الكذب والحلف، ولذا قال تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ). كان المنافقون ينالون بألسنتهم من النبي كثيرًا، ولا يكفون ألسنتهم، ويقولون إذا أظهروا الإيمان، إنما نحن نستهزئ بهم، وكان الله يعلم نبيه بأحوالهم وأقوالهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في لحن أقوالهم، كما قال تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول) [محمد:30] وكانت كلماتهم الفاسقة تتساقط على مسامع بعض المؤمنين من غير أن يتنبهوا، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب فقال رجل من المنافقين، وزيد بن أرقم بجواره، قال ذلك المنافق: (لئن كان هذا الرجل [أي الرسول] صادقًا فنحن شر من الحمير، فقال زيد رضي الله عنه: (فهو والله صادق ولأنت شر من الحمار).

كان هذا القول وأشباهه يصل إلى مسامع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما يجابههم بهذا الذي ينقل، عندئذ يجدون المطية التي اختاروها، وهي مطية كل كذاب مهين، وهي الحلف بالله تعالى من غير أي حريجة.

ولذا يقول في بيان حالهم عندما يكشف أمرهم وتعلم أقوالهم: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا). قلنا: إن أقوالهم المنافقة كثيرة لا تخص واحدة دون الأخرى ، بل كلما تكشف قول ينبئ عن نفاقهم كذبوه وحلفوا اليمين الغموس الفاجرة، وقد أشرنا إلى أن اليمين الفاجرة، كانت المساغ لكذبهم، لعنهم الله هم وأخلافهم في هذا الزمان، وقد قالوا كلمة الكفر أي ما قالوه فيه كلمة واحدة هي كافية لطردهم من رحمة الله، واستحقاقهم نار جهنم، وهي إنكار الرسالة المحمدية؛ إذ هي الكلمة التي أوقعتهم في حضيض الكفر، أو نقول "كلمة" بمعنى كلمات، ((وكلمة بها كلام قد يؤم))، والمراد أن كلامهم كله في الاستهزاء والتهكم، وإيقاع الفرقة، والدس والفساد، هو كفر .

وقال (بعد إسلامهم) أي بعد إعلانهم الإسلام، وإبطانهم الكفر والنفاق، فهذه الكلمة أو الكلام قد كشف نفاقهم الذي كان مستوراً بإعلان الإسلام، فما استفادوا إلا بيان حالهم، ومعرفة الوصف الحقيقى لهم.

(وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) أرادوا أن يفسدوا أمر المؤمنين، ويوقعوا الفتنة والفشل فيهم، ولم ينالوه؛ لأن الله تعالى رقيب عليهم، وكاشف للمؤمنين أمرهم، وكلما أوقدوا نار فتنة أطفأها الله سبحانه وتعالى، وعادت الأمور بيضاء لا فتنة فيها.

لا تعجز !

حامد عبدالعظيم

مقدمة

في هذه الأيام التـي نحياها سيطر اليأس على قلوب كثير من الشباب والفتيات، نتيجة ضعف الأمة واستهداف أعدائها لها من كل حدب وصوب، وتوالي المصائب على بلاد الإسلام حتى بدا الأمر كأنه نهاية العالم وأن أمتنا على وشك الموت!

في مقالي هـذا أحاول معك أخي وأختي أن نعالج هذه الحالة من اليأس والضجر والعجز بهدوء عن طريق وضع أيدينا على الأسباب الرئيسية لها.

أول سبب من وجهة نظري: هو تحميل النفس فوق طاقتها، فالسواد الأعظم من الشباب يقضي على الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وقتًا طويلًا جدًا، فتُعرض عليه أخبار القتل والتدمير والحرق والإبادة والمواقف المخزية لعلماء ودعاة... إلخ، مما يؤدي إلى حالة شعورية بأن الحياة سوداء ولا توجد أي بارقة أمل فيها أو في إصلاحها.

ولا شك أن هذا تحميل للنفس فوق طاقتها، فأنت لن تستطيع أن تُغير العالم، بل لا تستطيع أن تغير حال بلدك وحدك ولست مسؤولاً عن ذلك! نعم، ينبغي أن تعرف ذلك، أنت مسؤول عن مجتمعك الخاص الذي من الممكن أن تُحدث فيه تغييرًا، مسؤول فقط عن الإصلاح والدعوة والتغيير في المحيط الصغير الذي تتحرك فيه، في المسجد الذي تصلي فيه، في العمل الذي تذهب إليه، في المدرسة التي ترتادها، وهكذا.

أنت لن تغير العالم بمعرفتك أخبار المسلمين ومآسيهم في كل مكان وكل يوم وكل دقيقة، أو بمشاهدتك للجثث المحروقة والأطفال تحت الأنقاض، وأنت غير مأمور بذلك خاصة وأن هذا يؤدي إلى إلف رؤية مآسي إخواننا مما يؤدي إلى تبلد شعورنا واعتيادنا على ذلك.

أنت غير مأمور بذلك، بل مأمور بما تستطيع، والله لا يكلفك ما لا تطيق، وقد قال عز وجل: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

فإذا علمت ذلك سيسقط من على كاهلك هم كبير، وستستغل وقتك بصورة أفضل وبالاتجاه الصحيح. وبكل تأكيد نهتم بأحوال المسلمين وبمعرفة أخبارهم وتحديث الناس بها، ولكن هذا لا يكون بالسلبية وتعريض النفس لضغط نفسي هائل يؤدي بنا إلى حال "المُنبت" الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى. فأنت لم تنصر المسلمين ولم تفعل شيئًا يؤدي إلى تغيير وإصلاح بالعكوف على متابعة الأخبار، فالأمر إذن وسط بلا إفراط ولا تفريط، بلا إفراط بجعل هذا الباب يؤدي إلى العجز والضغط النفسي، وبلا تفريط يجعلنا في دائرة الجهل بأحوال أمتنا ودائرة اللا مبالاة.

السبب الثاني: هو فرع عن الأول وهو عدم الانخراط في أي جهد تغييري بحجج شيطانية بامتياز من قبيل وسوسته بأنك شخص واحد فماذا ستفعل لإصلاح هذا الكم الهائل من مصائب الأمة؟

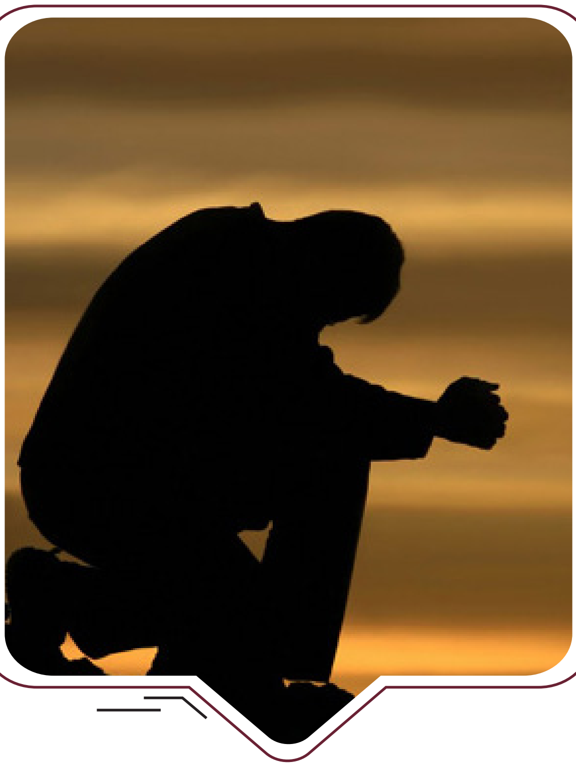

وهذا من الأسئلة الخطيرة التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يجيب عنه وأن يقف مع نفسه وقفة حازمة حتى لا يوسوس به الشيطان له ولا تحدثه نفسه به لتبرر له القعود والسلبية؛ فأول الجواب على هذا السؤال هو معرفة ما سبق من أن الفرد المسلم ليس مطالبًا بأن يغير العالم، بل فقط ينظر حوله ويرى أي ثغرة ليقف عليها.

الدعوة إلى الله، وتعلُّم العلم وتعليمه، وحفظ القرآن وتحفيظه لصغار وشباب المسلمين، وكفالة المحتاجين، والجهاد في سبيل الله، وإعداد النفس إيمانيًا وبدنيًا ومن كافة النواحي، وبث الوعي بمكائد الغرب والصهاينة وعملائهم... إلخ كلها أعمال من الممكن أن يتحرك فيها المسلم والمسلمة.

بإمكانك أن تفعل الكثير، بإمكانك إن كنت في عمر ما قبل الجامعة أن تخطط لدخول كلية ما تتمكن فيها من جانب تكنولوجي معين وتتوسع في دراستك لتفيد أمتك لتتخلص من التخلف التكنولوجي السائد فيها، أو إن كنت كبيرًا ولك أبناء أن تخطط لهم أن يتخصصوا في شيء معين ويتقنوه ليفيدوا أمتهم، وهكذا.

نحن في مرحلة غاية في الحساسية من تاريخ أمتنا، ونحتاج أن يكون لدينا عقل استراتيجي واعٍ، لا نفكر فقط في اليوم وغدًا والأسبوع القادم، بل نفكر لعشرين عامًا قادمًا على الأقل، يجب وضع خطط مستقبلية متقنة والعمل على تنفيذها، ولا تنتظر أحدًا ليخطط لك وينفذ لك ويأخذ بيدك، فأنت مطالب أن تخطط لنفسك ولولدك ولأخيك الصغير وابن أخيك وأختك وكل الشباب الذين حولك، مطالب بالتخطيط لتلاميذك وطلابك الذين يثقون فيك وفي تعليمك أو دعوتك، مطالب بأن تساعدهم بالمال والخبرة والمشورة والمتابعة والتذكير الدائم، وعينك على ما يحققونه بعد عشرين عامًا، فلو فكرنا بهذه الطريقة سنجد ألوفًا مؤلفة من شبابنا المتميز المتخصص في كل فن وعلم وصناعة وتكنولوجيا بعد عشرين عامًا، ولكن المشكلة الخطيرة أننا غير متعودين على التخطيط المستقبلي وهذه الثقافة غريبة علينا، بعكس الصهاينة على سبيل المثال والأمريكان والغرب عمومًا الذين يدركون جيدًا أن عشرين عامًا ليست شيئًا في حسابات التاريخ والأعمار وأنها تمر كالبرق.

ورضي الله عن سيدنا عمر الفاروق حين قال: "عجبت لعجز الثقة وجلد الكافر".

ويقول المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئًا *** كنقص القادرين على التمامِ

فلا تعجز يا أخي فأمتك تنتظرك، واعلم أن هذه سنة نبوية، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "استعن بالله ولا تعجز" وكان عليه أفضل الصلاة و السلام يستعيذ الله من العجز والكسل.

فالعجز والإحباط والسلبية تقتل الإنسان وتجعله يعيش حياة سوداء بلا أي معنى، بعكس الأمل والنشاط والتفاؤل والعمل والإنجاز الذين يجعلون الروح فتية والنفس سوية. واعلم أنك إذا عوّدت نفسك على العجز ستزداد تمنعًا عليك، وستكون عصية على الترويض، وستصل إلى مرحلة ما لا تستطيع معها حتى أن تفعل الشيء بصعوبة، فالعجز ينمو مع الوقت ويتطور وتتعود النفس عليه.

ولا يتلاعب بك الشيطان أن أمتنا قد انتهت، بل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخلافة على منهاج النبوة آتية، وقال: "إن أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره"، وقال ببقاء الطائفة المؤمنة تجاهد في سبيل الله، وبشّر الغرباء بطوبى، وقال: **"من قال هلك الناس فهو أهلكهم"**.

فقط تحرك واعمل وعينك على المستقبل فإن الأيام دول، والممالك تسقط مهما كانت قوتها بعد حين، والدول العظمى تتفكك بعد أن يقول المرء بأنها ستخلد لفرط قوتها، وإن شئت فاقرأ التاريخ منذ أن تعلم الإنسان الكتابة والتأريخ، ولكن حينها هل سيكون المسلمون مستعدين وتزخر أمتهم بالفاعلين والناشطين

والمتميزين في كل مجال؟ هل سيكونون على أهبة الاستعداد ليأخذوا بزمام المبادرة؟ أم سيتمنون حينها أن لو كانوا بدؤوا منذ سنوات طويلة في الإعداد والفاعلية أو يتمنوا أنهم لم يعجزوا ويقولوا لا فائدة؟

● ونختم بقول المولى جل وعلا في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:
(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا) (النساء: ٨٤)

وقوله تبارك وتعالى:
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٦٩) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ (١٩٨)) [آل عمران]

وقوله عز من قائل:
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ الله فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)) [الأنفال]

klmtuhaq

كَلِمَةُ حَق

العدد ٢٥ ، أغسطس ٢٠١٩

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم